المسائل العقدية في الآيات المتضمنة" تبارك الله" جمعًا ودراسة

دكتور/ غويد بن شباب بن صالح الغامدي
أستاذ العقيدة المساعد بقسم الثقافة الإسلامية
كلية التربية والتنمية البشرية – جامعة بيشة

ملخص البحث:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

هذا بحث في بيان المسائل المتعلقة بالعقيدة في الآيات المتضمنة (تبارك الله)، وهي تسع آيات كريمة من كتاب الله – جل وعلا –، وقد جاء في مقدمة ويتلوها تمهيد و مبحثين ثم الخاتمة، أما المقدمة فقد بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهجي فيه، وخطة البحث، ثم كان التمهيد الذي جاء في بيان معنى المسائل المتعلقة بالعقيدة في الآيات المتضمنه (تبارك الله)، ثم جاء المبحث الأول في ذكر الآيات المتضمنة (تبارك الله)، وبيان أهميتها، والمعنى العام لها، أما المبحث الثاني: فجاء فيه بيان المسائل المتعلقة بالعقيدة في الآيات المتضمنة (تبارك الله) من تقرير توحيد الله – عز وجل – وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وتقرير النبوة، وإنزال القرآن الكريم، وإثبات القدر، وإثبات اليوم الآخر، ثم الخاتمة وتضمنت النتائج التالية:

١- أن الآيات المتضمنة (تبارك الله) في القرآن الكريم قد اشتملت على ذكر مسائل عقدية جليلة .

٢- أن البركة من الله تعالى، ومن ألقى عليه البركة فهو المبارك؛ ولهذا كان كتابه مباركا.

الكلمات المفتاحية: المسائل – العقيدة – تبارك الله – البركة – التوحيد

Research Summary:

Praise be to God alone, and prayers and peace be upon the one after whom there is no prophet, and after:

This is a study in explaining the issues related to belief in the verses that include"Blessed be God,” which are nine noble verses from the Book of God Almighty. It came in an introduction, followed by a preface, two sections, and then the conclusion. As for the introduction, I explained the importance of the topic, the reasons for choosing it, previous studies, and my methodology. in it and the research plan, Then was the introduction, which came in explaining the meaning of the issues related to belief in the verses that include"Blessed be God.” Then the first topic came in mentioning the verses that include"Blessed be God,” and explaining their importance, and the general meaning of them. As for the second topic, it came in explaining the issues related to belief in the verses. Containing"Blessed be God” from the confirmation of the oneness of God Almighty, His Lordship, His divinity, His names and attributes, the confirmation of prophecy, the revelation of the Noble Qur’an, the confirmation of destiny, the confirmation of the Last Day, and then the conclusion:. The following results included

١-The verses containing"Blessed be God” in the Holy Qur’an included mention of important doctrinal issues.

٢-Blessing is from God Almighty, and whoever bestows a blessing on him is blessed, and that is why his book is blessed.

المقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد: القرآن الكريم كتاب هداية، أنزله الله – عز وجل – منهج حياة لإسعاد البشرية وإصلاح جميع شؤونهم وأحوالهم،" فهو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، وهو شفاء الصدور، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزل والفصل الذي ليس بالهزل، شهاب لا يخبو ضياؤه وسناؤه، وبحر لا يدرك غوره،بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه"[1]، وهو كتاب مبارك تلحق البركة كل من لزمه وتمسك به وتدبره، قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]، وقد لفت انتباهي فيه تسع آيات كريمة مباركة اشتملت على وصف الله – جلا وعلا – بأنه تبارك، وهو – سبحانه – المتبارك في ذاته الذي يبارك فيمن يشاء من خلقه، والبركة كثرة الخير ودوامه، ولا أحد أحق بذلك وصفًا وفعلًا منه عز وجل، وهذه الآيات الكريمة اشتملت على مسائل عقدية عظيمة ومهمة، هي من أصول الإيمان، وأركان الدين، ولاشتمال هذا الآيات الكريمة على هذه المسائل العقدية العظيمة، وعدم وجود من أفردها بالشرح والبيان – لا سيما أنها تتعلق بأشرف العلوم وأجلها قدرًا، وأوجبها مطلبًا، وهو علم التوحيد – فأحببت استنباطها من الآيات وجمعها ودراستها ؛ لتكون معيناً لكل مسلم عند تدبر هذه الآيات الكريمة، ومعرفة ما فيها من الخير والبركة، فكل خير في الدنيا والآخرة ودوامه وزيادته فهو من آثار بركة الله وفضله ورحمته، ثم تدبر كتابه والعمل بما فيه .

أهمية الموضوع:

١- يستقي هذا الموضوع أهميته من أهمية الكتاب العزيز؛ حيث إنه يبين جانب عظيم من مقاصده، ويوضح معناه ودلالته.

٢ – كما تتجلى أهميته من جهة تعلقه بأشرف العلوم، وهو أصول الإيمان ومسائل الاعتقاد فهذا البحث يتعلق بذكر المسائل العقدية التي اشتملت عليها الآيات المتضمنة (تبارك الله) جل وعلا .

٣- أن هذه الآيات آيات مباركة ؛ لاشتمالها على وصف الله بالبركة، فالبركة كلها لله تعالى، ومنه البركة – سبحانه –، فهو المبارك – عز وجل –، ومن ألقى عليه بركته فهو

١ – البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١ / ٣-٤) .

المبارك، وقد اشتملت على تعظيم الله – سبحانه – ، والدلالة على كمال فضله وواسع رحمته .

أسباب اختيار الموضوع:

١- الرغبة في نيل شرف العيش مع كتاب الله تعالى، ومحاولة النهل من معينه العذب .

٢- أن الآيات المتضمنة (تبارك الله) – عز وجل –، قد اشتملت على ذكر مسائل عقدية جليلة: من تقرير توحيد الله –سبحانه–، وإثبات ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وإثبات النبوة وتقرير إنزال القران الكريم منه، وتقرير القدر، وإثبات اليوم الآخر .

٣- الحاجة الماسة إلى البحوث العقدية المؤصلة التي تنبثق من كتاب الله – تعالى –، في ضوء منهج السلف الصالح .

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في فهارس المكتبات، ومحركات البحث الرقمية، وسؤال المختصين، لم أجد – على حد علمي– من قام بجمع المسائل العقدية في الآيات المتضمنة (تبارك الله) عز وجل ودراستها دراسة مفردة، ولكن جاء الحديث عنها متفرقًا في كتب التفاسير، ثم وجدت بحثًا للدكتور أيمن بن محمد الحمدان ، بعنوان: (وصف الله تعالى بـ (تبارك) معناه، وآثاره) منشورًا في مجلة البحوث الإسلامية التابعة للأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، العدد: ١٢٩ – ١٤٤٤هـ، وهي دراسة في بيان معنى لفظ (تبارك) وكونه وصفاً لله عز وجل وآثار بركته سبحانه فقط، ولم تتعرض لدراسة الآيات، ولا للمسائل العقدية التي اشتملت عليها هذه الآيات المباركة، كتقرير توحيد الله عز وجل وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وتقرير النبوة، وإنزال القرآن الكريم، والقدر، وإثبات اليوم الآخر التي اشتملت عليه هذه الآيات المباركة .

منهج البحث:

وقد سرت في هذا البحث وفق المنهج الاستقرائي الوصفي الشامل لكل المسائل العقدية في كل آية، واقتضت خطة البحث أن يخرج في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة .

خطة البحث:

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطته وقد مضت .

تمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث المسائل والعقيدة والآيات ومعنى (تبارك الله) سبحانه .

المبحث الأول: الآيات المتضمنة (تبارك الله) جل وعلا، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ذكر الآيات .

المطلب الثاني: أهميتها .

المطلب الثالث: المعنى العام لها .

المبحث الثاني: المسائل العقدية في الآيات المتضمنة (تبارك الله) عز وجل، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تقرير التوحيد وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى: إثبات الربوبية.

المسألة الثانية: إثبات الألوهية.

المسألة الثالثة: إثبات الأسماء والصفات.

المطلب الثاني: تقرير النبوة وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف النبوة والحاجة إليها .

المسألة الثانية: مذهب أهل السنة والجماعة في النبوة .

المسألة الثالثة: دلالة الآيات عليها .

المطلب الثالث: إثبات إنزال القرآن الكريم وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف القرآن الكريم وفضله.

المسألة الثانية: مذهب أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم.

المسألة الثالثة: دلالة الآيات على نزوله.

المطلب الرابع: إثبات القدر وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف القدر ومعنى الإيمان به.

المسألة الثانية: أهمية الإيمان بالقدر.

المسألة الثالثة: دلالة الآيات على إثبات القدر.

المطلب الخامس: إثبات اليوم الآخر وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف اليوم الآخر ومعنى الإيمان به.

المسألة الثانية: أهمية الإيمان باليوم الآخر.

المسألة الثالثة: دلالة الآيات على إثبات اليوم الآخر.

الخاتمة

المراجع

والله أسأل أن يجعل هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم، وأن يرزقنا جميعًا البركـــة فـــي القول والعمل، وصلاح الحال، والهدى والسداد في الدنيا والآخرة.

تمهيد: المراد بالمسائل العقدية في الآيات المتضمنة (تبارك الله):

المسائل في اللغة: جمع مسألة، وهي من باب سأل يسأل سؤالًا، وسأله مسألة[1]، فالمسألة بمعنى: السؤال المطلوب العلم بجوابه والخبر عنه ببرهان .

واصطلاحًا: عرفها الجرجاني – رحمه الله – (٨١٦هـ) بقوله:" المسائل: هي المطالب التي يبرهن عليها في العلم، ويكون الغرض من ذلك العلم معرفتها"[2]، فهي مطلوبٌ خبري يبرهن عليه في العلم بالدليل[3] .

العقيدة في اللغة: مأخوذة من (العقد)، وهي مصدر (عقد) وتدور مادتها وما تصرف منها على عدة معان منها: التوكيد: قال تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١]، أي بعد عقدها وتوثيقها، والشد والربط المحكم: تقول عقد طرفي الحبل، أي أوصل أحدهما بالآخر بعقدة تمسكهما فأحكم وصلها، والملازمة: لما ورد في حديث ابن عمر – رضي الله عنهما –:" الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"[4]، أي: أن الخير ملازم لها كأنه معقود في نواصيها، والقرب: تقول فلان مني (معقد الإزار) أي: قريب المنزلة عندي، وإبرام الشيء وإحكامه: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ومنه الثبات، والاستحكام، والوجوب، والصلابة [5] .

العقيدة اصطلاحًا:

العقيدة في الاصطلاح العام: هي الحكم الجازم الذي يعقد الإنسان قلبه عليه بغير تردد أو شك فيخرج منه الوهم والشك والظن، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله– (٧٢٨هـ):"إن العقائد هي الأمور التي تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب وتكون يقينًا عند أصحابها لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك"[6].

والعقيدة في الاصطلاح الخاص (العقيدة الإسلامية): هي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره ؛ لأن الاعتقاد بالمعنى الخاص يرادف الإيمان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:" اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت،

---

١ – لسان العرب، ابن منظور (٧ / ٣٣٨)، وانظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٧٩)، القاموس المحيط، الفيروزآبادي (٩٣٠)، مادة (سأل) .

٢ – التعاريف، الجرجاني (٢٩٦) .

٣ – انظر: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، أبو بكر الشافعي (١ / ٢٩) .

٤ – صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة،حديث رقم: (٢٨٤٩)، (٤/ ٢٨)

٥ – معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤ / ٨٦)، لسان العرب، ابن منظور، مادة (عقد) (٤ / ٣٠٣١)، مختار الصحاح، الرازي، مادة (عقد) (٢ / ٥١٠) .

٦ – مجموع الرسائل والمسائل، ابن تيمية (٢٩)

والإيمان بالقدر خيره وشره" [1]، وقال الحافظ ابن رجب – رحمه الله – (٧٩٥هـ):" أما الإيمان، فقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث بالاعتقادات الباطنة، فقال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[2]

الآيات في اللغة وإطلاقاتها في القرآن الكريم:

الآيات مفرد الآية، وأصلها من (أيي) بياءين، فقلبت عينها ألفًا، فأصبحت آية، وقيل إنها من (أوي)، من قولنا أوى إليه، ويرى الراغب الأصفهاني – رحمه الله –:" أن الصحيح أنها مشتقة من التأني الذي هو التثبيت والإقامة على الشيء"[3]، وتطلق الآية في اللغة على: العلامة، والجماعة، والعجب، والدليل، والعبرة، والإمارة[4] .

وتطلق في القرآن الكريم على معنيين:

الأول: على الآيات الشرعية الدينية، كآيات القرآن العظيم، ومنه قوله تعالى:﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ [يوسف: ١] .

الثاني: على الآية الكونية القدرية[5]، ومنه قوله تعالى:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩]، والآية الكونية القدرية هي بمعنى: الآية اللغوية التي هي العلامة ؛ لأن الآيات الكونية علامات قاطعة على أن خالقها هو الرب المعبود وحده، وأما الآية الشرعية الدينية فقال بعض العلماء: إنها أيضا من الآية التي هي العلامة ؛ لأن آيات هذا القرآن العظيم علامات على صدق من جاء بها ؛ لما تضمنته من برهان الإعجاز، أو لأن فيها علامات يعرف بها مبدأ الآيات ومنتهاها، وقال بعض العلماء: إنها من الآية بمعنى الجماعة ؛ لتضمنها جملة وجماعة من كلمات القرآن وحروفه[6] .

معنى (تبارك الله):

معنى (تبارك) لغة: صيغة (تبارك) على وزن تفاعَل، بارك يبارك، مأخوذ من البركة، كذا جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما –[7]، فأصل اشتقاقها من لفظ:

---

١ – العقيدة الواسطية، ابن تيمية (١٩– ٢١)

٢ – جامع العلوم والحكم، ابن رجب (٥٧)

٣ – المفردات في غريب القرآن ، الأصفهاني (١١١)، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي (٢ / ٦٣)، لسان العرب، ابن منظور (١ / ١٨٥ – ١٨٧)، البرهان، الزركشي (١ / ٢٦٦) .

٤ – مقاييس اللغة، ابن فارس (١ / ١٦٨)، تاج العروس، الزبيدي (٣٧ / ١٢٢)، لسان العرب، ابن منظور (١٤ / ٦١)، وما بعدها، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي (١٢٦١) .

٥ – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١ / ٣٢٢ – ٣٢٣)، وأضواء البيان، الشنقيطي (٧ / ٣٣٩) .

٦ – انظر: مناهل العرفان، الزرقاني (١ / ٣٣١ – ٣٣٢)، ودراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد الرومي (١٢٦)، ومفاتيح التفسير، د. أحمد الخطيب (١ / ٢٥)، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د.زاهر الشهري (٢٤) .

٧ – انظر: تفسير الطبري ١٧/ ٢٩٤، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٩٣/٦)

البركة، والبركة في اللغة: كما قال ابن فارس -رحمه الله- (٣٩٥هـ):" هي ثبات الشيء" [١] .

معنى (تبارك) اصطلاحا: يأتي بمعنى ثبات الخير وديمومته، ومن ثَمَّ كثرته وزيادته، قال أبو البقاء الكفوي -رحمه الله- (١٠٩٤ه) في تعريف البركة:" النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية، وثبوت الخير الإلهي في الشيء ودوامه [٢]، وبما أن الخير من حيث مصدره وثباته وديمومته من الله تعالى، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:"البركة من الله"[٣]، خُصّ معنى البركة على وجه العموم بمعنى: ثبوت الخير الإلهي والفيض الرباني [٤] .

ومعنى (تبارك الله): لفظ (تبارك) المضاف إلى الله يأتي بعدة معانٍ، منها:

الأول: بمعنى التقديس، قال أبو بكر الأنباري- رحمه الله - (٣٢٨هـ):" قال قوم: معنى تبارك: تقدّس، أي: تطهر"[٥]، وينشأ من معنى التقديس معنى العظمة والمجد .

ولذلك قال الخليل بن أحمد -رحمه الله- (١٧٠هـ):" وتبارك الله: تمجيد وتجليل"[٦]

الثاني: يأتي بمعنى العلو، مثل: تعالى، والمتبارِك هو المرتفع [٧]، قال أبو منصور الأزهري -رحمه الله- (٣٧٠هـ):" ومعنى بركة الله: علوٌّ على كل حال"[٨] .

الثالث: يأتي بمعنى كثرة الخير، وثباته ودوامه وزيادته، كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في معنى (تبارك):" تفاعل من البركة"،، قال الفراء -رحمه الله- (٢٠٧هـ)، في معنى تبارك:" هو من البركة، وهو في العربية كقولك: تقدّس ربُنا" [٩]، وقال ابن منظور -رحمه الله- (٧١١هـ):" وتبارك الله: تقدّس وتنزّه وتعالى وتعاظم، لا تكون هذه الصفة لغيره"[١٠]، وهذه المعاني لا تعارض بينها، بل يستلزم بعضها بعضا، فمن كثرت خيراته وبركاته، ووسعت المخلوقات كلها، فهو حقيق بصفات العلوّ والتقديس والعظمة والمجد، قال الامام ابن القيم -رحمه الله- (٧٥١هـ):" فتباركه -سبحانه وتعالى- يجمع هذا كله، دوام وجوده، وكثرةَ خيره، ومجده، وعلوَّه، وعظمتَه، وتقدّسَه، ومجيء الخيرات كلها من عنده، وتبريكه على من شاء من خلقه"[١١].

---

١ - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٢٢٧/١)، انظر: وصف الله تعالى بـ" تبارك": معناه وآثاره، الحمدان (٣٨)

٢ - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي (٣٧٢) .

٣ - صحيح البخاري، كتاب الأشربة،باب شرب البركة والماء المبارك، حديث رقم: (٥٦٣٩).

٤ - انظر: عمدة الحفاظ في تفسير الألفاظ، الحلبي (١ / ١٨٣).

٥ - الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري (١ / ٥٣).

٦ - العين: الفراهيدي (٥ / ٢٦٨)، وانظر: وصف الله تعالى بـ" تبارك": معناه وآثاره، الحمدان (٣٨ - ٣٩)

٧ - تاج العروس، الزبيدي (٢٧ / ٧٠).

٨ - تهذيب اللغة، الأزهري (١٠ / ١٣١).

٩ - معاني القرآن، الفراء (٢ / ٢٥٧).

١٠ - لسان العرب، ابن منظور (١٠ / ٣٩٥).

١١ - جلاء الأفهام، ابن القيم (٣٠)، وانظر: وصف الله تعالى بـ" تبارك": معناه وآثاره، الحمدان (٤١- ٤٣)

تعريف المسائل العقدية في الآيات المتضمنة" تبارك الله":

من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي للمسائل والعقيدة والآيات و(تبارك الله)، يمكن أن نصل إلى تعريف المسائل المتعلقة بالعقيدة في الآيات المتضمنة (تبارك الله) بأنها: المطالب المتعلقة بمباحث العقيدة المستخرجة من الآيات التي ذُكر فيها (تبارك الله) وهي: تسع آيات كريمة جاءت في سور الأعراف والمؤمنون والفرقان وغافر والزخرف والرحمن والملك، وسيتم الحديث عنها في ثنايا هذا البحث .

المبحث الأول: الآيات المتضمنة (تبارك الله) جل وعلا:

لقد ذكر الله –سبحانه وتعالى– تباركه في تسع مواضع شريفة من كتابه الكريم، وسنبدأ بذكر هذه الآيات الكريمة في مواضعها، ثم بيان أهميتها من خلال سياقاتها المختلفة، ثم ذكر المعنى العام لها، وذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: ذكر الآيات المتضمنة (تبارك الله):

الآية الأولى: في سورة الأعراف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: [الأعراف: ٥٤] .

الآية الثانية: في سورة المؤمنون، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

الآية الثالثة:في سورة الفرقان، قال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] .

الآية الرابعة: في سورة الفرقان، قال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾[الفرقان:١٠].

الآية الخامسة:في سورة الفرقان، قال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦٤] .

الآية السادسة: في سور غافر، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[غافر: ٦٤] .

الآية السابعة: في سورة الزخرف، قال الله تعالى: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥].

الآية الثامنة: في سورة الرحمن، قال الله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٧٨].

الآية التاسعة: في سورة الملك، قال الله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١].

المطلب الثاني: أهمية الآيات المتضمنة (تبارك الله):

لقد ذكر الله – عز وجل – تباركه في هذه الآيات الكريمة، فهي آيات مباركة لذكر تباركه فيها، فالبركة كلها لله – عز وجل–، ومنه – سبحانه – فهو المبارك، ومن ألقى عليه

بركته فهو المبارك، وعند التأمل فيها نجدها تدل على عظمة الله وكمال قدرته، وواسع رحمته بخلقه سبحانه، وجليل فضله وإحسانه، يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – عن وصف الله – تعالى– نفسه (بتبارك):" ولهذا إنما يذكره غالبًا مفتتحا به جلاله وعظمته وكبرياءه"[1]، وتظهر أهمية هذه الآيات الكريمة من خلال الوجوه التالية:

١– أنها جاءت في سياقاتها المختلفة دالة على كماله وعظمته ورحمته سبحانه، فذكرها الله – عز وجل – في مقام تقرير ربوبيته بدلائل خلقه وتدبيره، وتسخيره وإنعامه عليهم، وسعة ملكه وعلمه، وإنزاله لأعظم كتبه الذي فرق به بين الحق والباطل، وجعله مباركاً وهدى ورحمة للعالمين، يقول الطاهر بن عاشور –رحمه الله– (١٣٩٣هـ):" وإتْباع اسم الجلالة بالوصف، وهو (رب العالمين) في معنى البيان لاستحقاقه البركة والمجد ؛ لأنه مفيض خيرات الإيجاد والإمداد، ومدبر أحوال الموجودات، بوصف كونه رب أنواع المخلوقات"[2].

٢– أن الله عز وجل ذكر تباركه فيها، فهي آيات مباركة، ولا شك أن من ألقى الله عليه بركته فهو المبارك، والقرآن الكريم آياته كلها مباركة، قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]، لكن تخصيص هذه الآيات بذكر تباركه فيها يدل على مزيد فضل لها، وأهمية خاصة بها .

٣– أن هذه الآيات المباركة اشتملت على مقاصد القرآن الكريم وما دعا إليه جميع الرسل عليهم السلام، وهي تقرر التوحيد، والنبوة، والمعاد، كما سيأتي في ثنايا هذا البحث، يقول الامام الشوكاني –رحمه الله– (١٢٥٠هـ):" وأما مقاصد القرآن الكريم التي يكررها، ويورد الأدلة الحسية والعقلية عليها، ويشير إليها في جميع سوره وفي غالب قصصه وأمثاله، فهي ثلاثة مقاصد، يعرف ذلك من له كمال فهم وحسن تدبر وجودة تصور وفضل تفكر، المقصد الأول: إثبات التوحيد، المقصد الثاني: إثبات المعاد، المقصد الثالث: إثبات النبوات"[3]، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية –رحمه الله–:" وعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر، والسعادة والفلاح موقوفة عليها و لا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل، فإن العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة"[4].

---

١ – جلاء الافهام، ابن القيم (٣٠٤)

٢ – التحرير والتنوير، ابن عاشور (٨ / ١٧٠)

٣ – إرشاد الثقات، الشوكاني (٣ – ٤)

٤ – انظر: لوامع الأنوار البهية، السفاريني (٢ / ٦٤)، اليوم الآخر، المطيري (٣٥)

٤- أنها اُفتتحَت بها سورتان جليلتان من سور القرآن الكريم هما: الفرقان، والملك، وختمت بها سورة جليلة هي: سورة الرحمن، وهذه السور المباركة لها فضل عظيم يمكن معرفته من خلال الوجوه التالية:

أ- سورة الفرقان سورة مباركة سُميت بذلك لذكر الفرقان فيها، وهو القرآن المبارك الذي فرق الله به بين الحق والباطل، وأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وهذه السورة المباركة قائمة على ثلاث دعائم: إثبات نزول القرآن، وإثبات البعث والجزاء، وتقرير التوحيد، وافتتحت في آيات كل دعامة من هذه الدعائم الثلاث بجملة" تبارك الذي ..."، للدلالة على فضلها وعظمتها وجليل مكانتها [١]، وهذا المواضع هي:

الأول: في قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[الفرقان:١]، الثاني: في قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾[الفرقان:١٠]،الثالث:في قوله تعالى:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦٤]، يقول الطاهر بن عاشور -رحمه الله- عند الحديث عن هذه السورة: قال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، هذا" افتتاح بديع لندرة أمثاله في كلام بلغاء العرب ؛ لأن غالب فواتحهم أن تكون بالأسماء مجردة أو مقترنة بحرف غير منفصل .. ثم ذكر أمثلة على ذلك .. إلى أن قال: وبهذه الندرة يكون طالع هذه السورة براعة المطلع لأن الندرة من العزة، والعزة من محاسن الألفاظ وضدها الابتذال"[٢]، ثم ذكر أن هذا السورة قائمة على ثلاث دعائم هي:" الأولى: إثبات أن القرآن منزل من عند الله، والتنويه بالرسول المنزل عليه صلى الله عليه وسلم، ودلائل صدقه، ورفعة شأنه عن أن تكون له حظوظ الدنيا، وأنه على طريقة غيره من الرسل، ومن ذلك تلقي قومِه دعوتَه بالتكذيب، الدعامة الثانية: إثبات البعث والجزاء، والإنذار بالجزاء في الآخرة، والتبشير بالثواب فيها للصالحين، وإنذار المشركين بسوء حظهم يومئذ، وتكون لهم الندامة على تكذيبهم الرسول وعلى إشراكهم واتِّباع أئمة كفرهم، الدعامة الثالثة: الاستدلال على وحدانية الله، وتفرده بالخلق، وتنزيهه عن أن يكون له ولد أو شريك، وإبطال إلهية الأصنام، وإبطال ما زعموه من بنوة الملائكة لله تعالى، وافتتحت في آيات كل دعامة من هذه الثلاث بجملة (تبارك الذي) الخ .." [٣].

١ - انظر: تفسير حدائق الروح والريحان، أحمد الأمين (١٩ / ٤٧٤)

٢ - انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (١٨ / ٣١٥ - ٣١٦)

٣ - التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٨ / ٣١٤)

ب- سورة الملك: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، هذه السورة المباركة تُسمى بالمانعة والواقية والمنجية؛ لأنها تنجي صاحبها من عذاب القبر، وتُسمى بالشافعة؛ لأنها تشفع لصاحبها يوم القيامة حتى يُغفر له(١)، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:" إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غُفر له: تبارك الذي بيده الملك"(٢)، وقد افتتحت بذكر تبارك الله سبحانه وتعالى، للدلالة على منتهى كمال الله – عز وجل – افتتاحًا يؤذن بأن ما حوته يحوم حول تنزيه الله – تعالى– عن النقص الذي افتراه المشركون لما نسبوا إليه شركاء في الربوبية والتصرف معه والتعطيل لبعض مراده، ففي هذا الافتتاح براعة الاستهلال كما تقدم في طالع سورة الفرقان(٣).

ج – سورة الرحمن هذه سورة مباركة تُسمى بعروس القرآن(٤)، وقد عدد الله فيها كثيرًا من آلائه ونعمه على عباده، ثم ختمها بذكر تباركه – عز وجل –، وذلك" أنه لما ختم – تعالى– نعم الدنيا بقوله: (ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام) ختم نعم الآخرة بقوله: (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام)، وناسب هنالك ذكر البقاء والديمومة له – تعالى– إذ ذكر فناء العالم، وناسب هنا ذكر ما اشتق من البركة وهي النمو والزيادة، إذ جاء ذلك عقب ما امتن به على المؤمنين، وما آتاهم في دار كرامته من الخير، وزيادته وديمومته"(٥)، يقول الحافظ القرطبي –رحمه الله– (٦٧١هـ):" الرحمن فافتتح بهذا الاسم، فوصف خلق الإنسان والجن، وخلق السموات والأرض وصنعه، وأنه(كل يوم هو في شأن) ووصف تدبيره فيهم، ثم وصف يوم القيامة وأهوالها، وصفة النار، ثم ختمها بصفة الجنان، ثم قال في آخر السورة: (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) أي: هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة، كأنه يعلمهم أن هذا كله خرج لكم من رحمتي، فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السماء والأرض والخلق والخليقة والجنة والنار، فهذا كله لكم من اسم الرحمن، فمدح اسمه ثم قال: (ذي الجلال والإكرام) جليل في ذاته، كريم في أفعاله"(٦)، فيتضح لنا من خلال هذا العرض، جلال هذه السور الثلاث وعظيم فضلها، وكذلك فإن بقية السور التي تضمنت (تبارك الله)، وهي: الأعراف والمؤمنون وغافر

١ – انظر: الجامع لأحكام، القرطبي، (٢١ / ١٠٨ – ١٠٩)، فتح القدير، الشوكاني (٥ / ٣٤٢) .

٢ – سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: في عد الآي، حديث رقم: (١٤٠٠)، سنن الترمذي، كتاب: ثواب القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة الملك، حديث رقم: (١١٦١٢)، (٦ / ٤٩٦)، صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

٣ – التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٩ / ٩)

٤ – الجامع لأحكام القران، القرطبي (٢٠ / ١١٢)، فتح القدير، الشوكاني (٥ / ١٧٣)

٥ – البحر المحيط، ابو حيان (٨ / ١٩٨ – ١٩٩)

٦– الجامع لأحكام القران: القرطبي (٢٠ / ١٧٤)

والزخرف، جاء في فضلها حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أُعطيت مكان التوراة السبع الطوال ومكان الزبور المئين ومكان الأنجيل المثاني وفضلت بالمفصل"[1]، فسورة الأعراف من السبع الطوال، وسورة المؤمنون من المئين، وسورة غافر والزخرف من المثاني[2] وقد ذكر الله تباركه فيها وهو-سبحانه- المبارك، وما يُلقي عليه البركة كان مباركا .

٥- أن من تأمل في هذه الآيات المباركة بعين البصيرة ونظر في سياقها علم ما فيها من العلم والعمل فزاد إيمانه؛ حيث يعلم ربوبية الله- سبحانه وتعالى - وتفرده بالخلق والتدبير والتسخير والقهر والتقدير، ويعلم ألوهيته - عز وجل- وأنه لا معبود بحق سواه، فمن تبارك بذاته وبارك مخلوقاته لحري أن يمتلئ القلب به عبودية وذلًا ومحبة وتعظيمًا ورجاءً وخشية، وأن يفرد بالعبادة وحده لا شريك له، ومن أيقن بمباركة الله- تعالى- ما شاء من خلقه طلب البركة منه في نفسه وأهله وولده وماله ووقته، وذلك بطاعته - عز وجل - والبعد عن معصيته، وكثرة قراءة كتابه وحفظه وتدبره والعمل به، فإنه كتابٌ مبارك تلحق البركة كل من لزمه وتمسك به، قال الله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥][3] .

المطلب الثالث: المعنى العام للآيات المتضمنة (تبارك الله):

هذه الآيات مباركة، وكل القرآن مبارك ؛ لأنه كلام الله الذي البركة كلها منه - سبحانه - ؛ فحري بنا أن نجلي معاني هذه الآيات المباركة بشكل مجمل من خلال تفسير أهل العلم لها، ليظهر لنا بعض ما اشتملت عليه من عظيم البركة وجلالها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾: [الأعراف: ٥٤]، يقول تعالى مبيناً أنه الربُّ المعبود وحده لا شريك له: (إنَّ ربَّكم الله الذي خلَقَ السمواتِ و الأرضَ): وما فيهما على عظمهما وسعتهما وإحكامهما وإتقانهما وبديع خلقهما (في ستة أيام): أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، فلما قضاهما وأودع فيهما من أمره ما أودع، (استوى): تبارك وتعالى (على العرش): العظيم الذي يسع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، استوى استواءً يليق بجلاله وعظمته وسلطانه، فاستوى على العرش، واحتوى على الملك، ودبر الممالك، وأجرى عليهم أحكامه الكونيّة وأحكامه الدينية؛ ولهذا

١ - رواه الإمام أحمد في المسند حديث رقم: (١٦٩٨٢)، والطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: (٨٠٠٣)، وصححه الألباني في بداية السول

٢ - البرهان، الزركشي، (١ / ٢٤٤)، مناهل العرفان، الزرقاني (١ / ٢٤٣ - ٢٤٤)

٣ - انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦ / ٢٢٣)، تيسير الكريم المنان، ابن سعدي (٥٢٥)

قال: (يُغْشي الليلَ): المظلم (النهار) المضيء، فيظلم ما على وجه الأرض، ويسكن الآدميون، وتأوي المخلوقات إلى مساكنها، ويستريحون من التعب والذهاب والإياب الذي حصل لهم في النهار، (يطلُبُه حثيثًا): كلما جاء الليل، ذهب النهار، وكلما جاء النهار، ذهب الليل ... وهكذا أبدًا على الدوام حتى يطوي الله هذا العالم، وينتقل العباد إلى دار غير هذه الدار، (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أي: بتسخيره وتدبيره الدال على ما له من أوصاف الكمال والانتظام والإتقان دال على كمال حكمته، وذلك دال على سعة علمه، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له: (ألا له الخَلق والأمر)، أي: له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات، علويتها وسفليّتها،أعيانها وأوصافها وأفعالها، والأمر المتضمن للشرائع والنبوات، (تبارك الله)، أي: عَظُم وتعالى وكثر خيره وإحسانه، فتبارك في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها، وبارك في غيره بإحلال الخير الجزيل والبر الكثير، فكل بركة في الكون فمن آثار رحمته؛ ولهذا قال: (تبارك الله ربُّ العالمين)[1]، وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – (١٣٧٦هـ) في بيان معنى هذه الآية المباركة:" (ثم خلقنا النطفة): التي قد استقرت قبل (علقة)، أي: دما أحمر بعد مضي أربعين يومًا من النطفة، ثم (خلقنا العلقة): بعد أربعين يومًا (مضغة)، أي: قطعة لحم صغيرة بقدر ما يُمضغ من صغرها، (فخلقنا المضغة): اللينة (عظامًا): صلبة قد تخللت اللحم بحسب حاجة البدن إليها، (فكسونا العظام لحما): أي جعلنا اللحم كسوةً للعظام، كما جعلنا العظام عماداً للّحم، وذلك في الأربعين الثالثة، (ثم أنشأناه خلقًا آخر): نفخ فيه الروح، فانتقل من كونه جمادًا إلى أن صار حيوانًا، (فتبارك الله)، أي تعالى وتعاظم وكثر خيره، (أحسن الخالقين): فخلقه كلُّه حسن، والإنسان من أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق، كما قال تعالى: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ ؛ ولهذا كانت خواصُّه أفضل المخلوقات وأكملها"[2]، وقال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] يتحدث الإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله – (٣١٠هـ) عن معنى هذه الآية المباركة فيقول:" تبارك الذي نزّل الفَصلَ بين الحقِّ والباطل، فصلًا بعد فصل، وسورة بعد سورة (على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (لِيَكُونَ) محمد لجميع الجن والأنس الذين بعثه الله إليهم داعيًا إليه، (نَذِيراً)، يعني: مُنذرًا ينذرهم عقابه ويخوفُهم عذابه ؛ إن لم يوحدوه ولم

١ – تيسير الكريم المنان، السعدي (٥٥٠)

٢ – تيسير الكريم المنان، السعدي (١١٢٣)

يخلصوا له العبادة، ويخلعوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان"[1]،قال سبحانه:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴾ [الفرقان:١٠] ، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – مشيراً إلى أن الله – سبحانه – لا يعجزه شيء، ومبيناً الحكمة في عدم إعطاء المشركين ما اقترحوه، (تَبَارَكَ الذي إن شاءَ جَعَلَ لكَ خَيراً من ذَلكَ)، أي: خيراً مما قالوا، ثم فسره بقوله: (جنَّاتٍ تَجْري من تَحْتِها الأنهار ويَجْعَل لك قُصوراً): مرتفعة مزخرفة، فقدرته ومشيئتُهُ لا تقصرُ عن ذلك، ولكنه– تعالى– لما كانت الدُّنيا عنده في غاية البعد والحقارة، أعطى منها أولياءه ورسله ما اقتضته حكمتُه منها، واقتراح أعدائهم بأنَّهم هلّا رُزِقوا منها رزقًا كثيرًا جدّا ظلمٌ وجراءةٌ"[2]، وقال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦٤]، قال الإمام الشوكاني – رحمه الله – في تفسيرها:" (تبارك الله الذي جعل في السماء بروجًا) المراد بالبروج: بروج النجوم، أي منازلها الاثنتا عشرة، واشتقاق البرج من التبرج، وهو الظهور (وجعل فيها سراجاً) أي شمسًا، (وقمرًا منيرًا) أي ينير الأرض إذا طلع"[3]، وقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٤]، قال الحافظ أبو السعود – رحمه الله – (٩٨٢هـ) متحدثًا عن جليل معناها:" (الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء) بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان، وقوله تعالى: (وصوركم فأحسن صوركم) بيان لفضله المتعلق بأنفسهم، والفاء في (فأحسن) تفسيرية، فإن الإحسان عين التصوير، أي: صوركم أحسن تصوير، حيث خلقكم منتصبي القامة، بادي البشرة، متناسبي الأعضاء والتخطيطات، متهيئين لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات) أي اللذائذ (ذلكم) الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة (الله ربكم) خبر إن ؛ لذلك (فتبارك الله)، أي: تعالى بذاته (رب العالمين)،أي: مالكهم ومربيهم، والكل تحت ملكوته مفتقرٌ إليه في ذاته ووجوده وسائر أحواله جميعًا ؛ بحيث لو انقطع فيضه عنه لحظةً لانعدم بالكلية"[4]، وقال سبحانه:﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥] قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – (٧٧٤هـ) في بيان معنى هذه الآية المباركة:" أي: هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما، بلا مدافعة ولا

١ – تفسير الطبري (١٧ / ٣٩٤)

٢ – تيسير الكريم المنان، السعدي (١١٨٩ – ١١٩٠)

٣ – انظر: فتح القدير، الشوكاني (٤ / ١١٤)

٤ – تفسير أبو السعود (٥ / ٢٥)

ممانعة، فسبحانه وتعالى عن الولد، (وتبارك):أي استقرت له السلامة من العيوب والنقائص، لأنه الرب العليّ العظيم، المالك للأشياء، الذي بيده أزِمّة الأمور نقضًا وإبرامًا، (وعنده علم الساعة) أي: لا يجليها لوقتها إلاهو، (وإليه ترجعون) أي: فيجازي كلًا بعمله، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر"[1]، وقال سبحانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨]، ذكر أيضاً – رحمه الله – في معناها" أي: هو أهلٌ أن يُجل فلا يُعصى، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى، قال ابن عباس– رضي الله عنهما –: (ذي الجلال والإكرام): ذو العظمة والكبرياء."[2]، وقال سبحانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١]، ذكر الحافظ ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفسيره:" يعني بقوله تعالى ذكرُه: (تَبَارَك): تعاظم وتعالى، (الَّذِي بِيَدِهِ الـمُلْكُ): بيده مُلك الدنيا والآخرة وسُلطانهما، نافذٌ فيهما أمره وقضاؤه، (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير)، يقول: وهو على ما يشاء فعله ذو قدرة، لا يمنعه من فعله مانع، ولا يحول بينه وبينه عجز" [3]، فهذه الآيات المباركة تدور معانيها حول بيان عظمته، وكمال بركته، وجزيل خيره، وتقرير توحيده، وتقرير نبوة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنزال كتابه، ورجوع عباده إليه في يوم المعاد والمآب .

---

١ – تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٢ / ٣٣١)

٢ – تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٣ / ٣٤٢)

٣ – تفسير الطبري (٢٣ / ١١٨)

المبحث الثاني: المسائل العقدية في الآيات المتضمنة" تبارك الله" عز وجل:

هذه الآيات الجليلة مباركة لمباركة الله لها، وما ذكر فيه تباركه فهو المبارك، وقد اشتملت هذه الآيات على مسائل عقدية عظيمة، حريٌ بالمسلم أن يتأملها عند تدبر كتاب الله – جل وعلا – وأن يعمل بما فيها من الخير والبركة، فكل خير في الدنيا والآخرة ودوامه وزيادته فهو من آثار بركة الله وفضله ورحمته، ثم تدبر كتابه والعمل بما فيه، وقد تمثلت هذه المسائل، في تقرير التوحيد، وتقرير النبوة، وإثبات نزول القرآن من الله جل وعلا، وإثبات القدر، وإثبات اليوم الآخر، وهذا ما سيتم الحديث عنه من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: تقرير التوحيد:

تعريف التوحيد وأنواعه:

التوحيد في اللغة: هو تفعيل وحَّد يقال: (وحد واحده كما يقال ثناه وثلثه)[١]، وحده توحيدا أي جعله واحدا[٢]، والتوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له[٣].

أما التوحيد شرعًا فهو: إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات[٤]، فلا معبود بحق سواه، قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]، ولا شريك له في الخلق والأمر، قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ولا مثيل له ولا نظير، بل له –سبحانه وتعالى– الكمال المطلق المنزه عن جميع النقائض قال الله عز وجل: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، وهذا التوحيد: ثلاثة أقسام كما دلت على ذلك نصوص الكتاب الكريم، وصحيح السنة المطهرة، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وقد اجتمعت في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم : ٦٥][٥]، وهذه الآيات المباركة المتضمنة (تبارك الله) عز وجل، جاء فيها تقرير التوحيد بأنواعه الثلاثة، ويتضح ذلك من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: إثبات توحيد الربوبية:

تعريف توحيد البربوبية:

الربوبية: هي الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وخالقه ومدبره، والمتصرف فيه، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليٌ من الذل، ولا رادَّ لأمره ولا

---

١ – الصحاح، الجوهري (٢ / ٥٤٨) .

٢ – انظر: الصحاح، الجوهري (٢ / ٥٤٧)، لسان العرب، ابن منظور، مادة: وحده، (١٥ / ٢٣٠) .

٣ – فتح المجيد، عبد الرحمن بن عبدالوهاب (٥٧) .

٤ – شفاء العليل، ابن القيم (٣٦٦)، القول المفيد، ابن عثيمين (١ / ١١) .

٥ – القول المفيد، ابن عثيمين (١ / ٩)

معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦][١]، وقد عرفه الشيخ محمد ابن عثيمين– رحمه الله – (١٤٢١هـ) فقال:" فأما توحيد الربوبية: فهو إفراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير، ومن أدلته قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأعراف: ٥٤]"[٢].

دلالة الآيات المتضمنة (تبارك الله) على توحيد الربوبية:

من خلال تعريف توحيد الربوبية السابق يتضح لنا دلالة هذه الآيات المباركة عليه، فالله – جل وعلا – هو الخالق المالك المدبر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في بيان معنى الآية الأولى المتضمنة (تبارك الله):" فإن الله– سبحانه وتعالى– له الخلق والأمر كما قال تعالى: (﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: [الأعراف: ٥٤]، فهو– سبحانه – خالق كل شيء وربه ومليكه، لا خالق غيره، ولا رب سواه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فكل ما في الوجود من حركة وسكون فبقضائه وقدره ومشيئته وقدرته وخلقه"[٣]، ويقول الشيخ محمد بن عثيمين –رحمه الله– في بيان معناها كذلك:" الإيمان بالربوبية، أي: بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين، والرب من له الخلق والملك والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال تعالى: (أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ وَرَحْمَةً ، وأَمْر الرب – سبحانه – شامل للأمر الكوني والشرعي، فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسبما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات و أحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله مشرعا في العبادات، أو حاكمًا في المعاملات فقد أشرك ولم يحقق الإيمان"[٤]، ثم إن من أبرز صفات الله – تعالى– الدالة على ربوبيته صفة الخلق وما تميز به – سبحانه – من إتقان وبديع صنع لا يكون إلا منه –جل وعلا–، ومن ذلك ذكر خلق الإنسان وانتقاله من طور إلى طور كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ

١ – القول السديد، السعدي (١٠) .
٢ – تقريب التدمرية، ابن عثيمين (١١٠) .
٣ – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١ / ٢٥١)
٤ – نبذة في العقيدة الإسلامية، ابن عثيمين (٢٢ – ٢٣)

ﱡﭐ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﱠ [المؤمنون: ١٤]، وأيضًا خلق الانسان في أحسن صورة وأكمل هيئة، وإمداده بالرزق، وإعداده لمعرفة مصالحه – من دلائل ربوبيته سبحانه، يقول الطاهر ابن عاشور في بيان معنى الآية المتضمنة (تبارك الله) في سورة غافر ﱡﭐ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﱠ[غافر: ٦٤]:" والفاء في قوله (فأحسن صوركم) عاطفة جملة على جملة ودالة على التعقيب أي أوجد صورة الإنسان فجاءت حسنة وعطف على هذه العبرة والمنّة منّة أخرى فيها عبرة، أي: خلقكم في أحسن صورة، ثم أمدكم بأحسن رزق، فجمع لكم بين الإيجاد والإمداد، ولما كان الرزق شهوة ظاهرة، وكان مشتملا على حكمة إمداد الجسم بوسائل تجديد قواه الحيوية، وكان في قوله (رزقكم) إيماء إلى نعمة طول الوجود، فلم يكن الإنسان من الموجودات التي تظهر على الأرض ثم تضمحل في زمن قريب – جمع له بين حسن الإيجاد وبين حسن الإمداد، فجعل ما به مدد الحياة وهو الرزق من أحسن الطيبات على خلاف رزق بقية أنواع الحيوان .. إلى أن قال: و (رب العالمين) خالق أجناس العقلاء من الناس والملائكة والجن، وهذا الوصف من تمام الإنشاء ؛ لأن في ذكر ربوبيته للعالمين وهم أشرف أجناس الموجودات استحضارًا لما أفاضه عليهم من خيرات الإيجاد والإمداد"[1]، وكذلك إنزاله – سبحانه – كتابًا مباركًا يكون فرقانًا بين الحق من الباطل، ويهدي إلى سواء السبيل، ويدل على عظمة الخالق وبديع صنعه في الآفاق والأنفس من دلائل ربوبيته، وكمال عظمته، قال الله تعالى: ﱡﭐ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﱠ [الفرقان: ١] وكذلك إرساله رسولاً هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، والرد على المكذبين له وإقامة الحجة عليهم من دلائل ربوبيته، وكمال رحمته، قال تعالى: ﱡﭐ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ﱠ [الفرقان:١٠]، وأيضا خلق السماء وما جعل فيها من البروج وخلق الشمس والقمر وما أودع فيها من المنافع والدقة والانتظام من دلائل الربوبية وعظيم القدرة وكمال القوة، يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله – في بيان معنى الآية المتضمنه (تبارك الله) في سورة الفرقان ﱡﭐ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﱠ [الفرقان: ٦٤]:" ودلالة خلق البروج وخلق الشمس والقمر على عظيم قدرة الله بينة للعاقل، وكذلك دلالته على دقيق الصنع ونظامه بحيث لا يختل ولا يختلف ؛ حتى تسنى للناس رصد أحوالها وإناطة حسابهم بها"[2]، وهذا واضح في عصرنا الحاضر بشكل كبير مع التطور

١ – التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٤ / ١٩١ – ١٩٢)
٢ – التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٩ / ٦٤)

التقني والمادي، ثم إن من أعظم دلائل الربوبية التفرد بالملك والتدبير وكمال القدرة وجميل التصرف، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – في بيان معنى قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]،" (تبارك الذي بيده الملك) أي تعاظم وتعالى وكثر خيره وعم إحسانه، من عظمته أن بيده ملك العالم العلوي والسفلي، فهو الذي خلقه ويتصرف فيه بما شاء من الأحكام القدرية والأحكام الدينية التابعة لحكمته، ومن عظمته كمال قدرته التي يقدر بها على كل شيء، وبها أوجد ما أوجد من المخلوقات العظيمة كالسموات والأرض"[١]، فهذه الآيات المباركة تقرر ربوبية الخالق وتدل عليها بدءًا بخلق الكون وما فيه من العالم العلوي السماء والشمس والقمر، والعالم السفلي وما فيه من الأرض وخلق الإنسان بأطواره المختلفه، وإمداده بأنواع الأرزاق، وتسخير الكائنات له، وإنزال الفرقان وإرسال الرسول ودحض حجج المكذبين، وانتهاءً بالتفرد بالملك والقدرة وكمال التصرف والتدبير .

المسألة الثانية: إثبات توحيد الألوهية:

الألوهية لغة: مشتقة من ألِه إلاهة (بالكسر)، وألوهة وألوهية (بضمهما): عُبد عبادة، ومنه قرأ ابن عباس–رضي الله عنهما–: (وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ) بكسر الهمزة، قال: أي عبادتك، والتألُّه: التنسك والتعبد، والله أصله: إلاه على وزن" فعال" بمعنى" مفعول" ؛ لأنه مألوه، أي: معبود[٢]حبًا وتعظيمًا، وتوحيد الألوهية هو: توحيد الله بأفعال العباد، أو هو: إفراد الله عز وجل بالعبادة [٣]، وهذا التوحيد هو الذي من أجله خلق اللهُ – عز وجل – الخلقَ، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال ابن عباس – رضي الله عنهما – (٦٨هـ): (إلا ليوحدون)[٤]، وهو معنى: لا إله إلا الله ؛ إذ معناها لا معبود بحق إلا الله عز وجل، وهو توحيد العبادة الذي يعني إخلاص العبادة لله – عز وجل– وحده لا شريك له .

دلالة الآيات المتضمنة (تبارك الله) على توحيد الألوهية:

لقد دلت هذه الآيات المباركة على ألوهية الله عز وجل على خلقه بأوضح أسلوب وأسهل طريق، فمن تفرد بالخلق والتدبير والتسخير والقهر والتقدير، فهو المستحق للعبادة والخضوع والتعظيم وحده لا شريك له، ومن تبارك بذاته وبارك مخلوقاته لحري أن يمتلئ القلب به عبودية وذلًا ومحبة ورجاء وخشية، فحاجة العبد إلى عبادة ربه وعدم الإشراك به

١ – تيسير الكريم المنان، ابن سعدي (١٨٥٦)

٢ – انظر:، لسان العرب، ابن منظور (١ / ١١٤ – ١١٥)،، تاج العروس، الزبيدي (٣٦ / ٣٢٠ – ٣٢٢) .

٣ – انظر:، شرح الطحاوية، ابن أبي العز (١ / ٢١)، لوامع الأنوار، السفاريني (١ / ٢٩)،، تيسير العزيز الحميد، سليمان آل الشيخ (٣٦) .

٤ – شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز (٧٧) .

فوق كل حاجة، فحقيقة العبد قلبه وروحه، ولا صلاح له إلا بالله – سبحانه – ولا يطمئن إلا بذكره، ولا صلاح له إلا بمحبته وإخلاص العبادة له، فهو الإله الحق وكل ما سواه باطل [1]، وهذه الآيات المباركة انتظمت في تقرير ذلك، يقول الإمام الطبري – رحمه الله – (٣١٠هـ)، في بيان معنى الآية الأولى المتضمنة (تبارك الله): ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾:[الأعراف: ٥٤]:" إن سيدكم ومصلح أموركم أيها الناس هو المعبود الذي له العبادة من كل شيء، الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ... إلى أن قال: إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم مسخرًا كل ذلك بأمره، أمرهن الله فأطعن لأمره، ألا له الخلق كله والأمر الذي لا يُخالَف، ولا يرد أمره دون ما سواه من الأشياء كلها، ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تضر ولا تنفع ولا تخلق ولا تأمر، تبارك معبودنا الذي له عبادة كل شيء رب العالمين"[2]، ويقول الشوكاني في بيان معناها أيضا:" إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض: هذا نوع من بديع صنع الله وجليل قدرته وتفرده بالإيجاد الذي يوجب على العباد توحيده وعبادته"[3]، ويقول الحافظ أبو السعود – رحمه الله – (٩٨٢هـ):" تبارك الله رب العالمين: أي تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية" [4]، فكل ما في العالم من الخيرات الكثيرة والنعم العظيمة فهي منه، فيجب على عباده أن يشكروه عليها ويعبدوه دون غيره، وليس لغيره من الخلق والأمر شيء، وفي هذه الآية رد على من يقول من أهل الضلال: إن للشمس والقمر والكواكب تأثيرات في هذا العالم[5]، ثم إن مما اشتملت عليه هذه الآيات المباركة الاعتماد على تقرير توحيد الألوهية بإثبات توحيد الربوبية، فكما أن الله – تعالى – هو الخالق الرازق المدبر وجب إفراده بالعبادة وترك عبادة ما سواه، يقول الإمام الطبري –رحمه الله– في بيان معنى الآية المتضمنة (تبارك الله) في سورة غافر: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[غافر: ٦٤]:" ذلكم الله ربكم: فالذي فعل هذه الأفعال وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم هو الله الذي لا تنبغي الألوهية إلا له، وربكم الذي لا تصلح الربوبية

---

١ – انظر: طريق الهجرتين، ابن القيم (٥٦ – ٥٨)

٢ – تفسير الطبري، الطبري (١٠ / ٢٤٥ – ٢٤٦)

٣ – فتح القدير، الشوكاني (٢ / ٢٩٧)

٤ – تفسير أبو السعود، أبو السعود (٢ / ٣٤٩)

٥ – انظر: تفسير حدائق الروح والريحان، أحمد الأمين (٩ / ٣٤٨)

لغيره، لا الذي لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق"[1]، فالله– جل وعلا– لما ذكر تفرده بجعل الأرض قرارا، والسماء بناء، وتفرده بخلق الانسان في أحسن صوره، ورزقه من الطيبات – ختم ذلك بقوله – جل وعلا –: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ٱلسَّاعَةَ أي: ذلكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو الذي لا تنبغي الألوهية إلا له، ولا تصلح الربوبية لغيره، لا من لا ينفع ولا يضر، فتقدس سبحانه، وتنزه وهو رب العالمين"[2]، فيتضح لنا عناية هذه الآيات المباركة بهذا النوع الجليل من التوحيد ؛ إذ هو أعظم أنواع التوحيد وأهمها والمتضمن لها جميعًا، ولا يصير العبد مؤمناً إلا بتحقيقه، وهو الذي لأجله خلق الله عباده، وأنزل كتبه، وبعث أنبياءه ورسله عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾ [النحل: ٣٦] .

المسألة الثالثة: إثبات توحيد الأسماء والصفات:

ومعناه: أن يوصف الله – تعالى– بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسله نفيًا وإثباتا: فيُثبت لله ما أثبته لنفسه، ويُنفي عنه ما نفاه عن نفسه، وقد عُلم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله – تعالى– ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته،كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل، قال تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ففي قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖأَنفُسِكُمْ ، رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله: (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ)، رد للإلحاد والتعطيل[3].

وتوحيد الله – سبحانه وتعالى – في أسمائه وصفاته عند أهل السنة والجماعة قائم على أسس جليلة منها:

أ– أن أسماء الله – تعالى– وصفاته توقيفية فلا نثبت له– تعالى– ولا ننفي عنه إلا بدليل من الكتاب أو السنة؛ إذ لا سبيل إلى ذلك إلا من هذا الطريق .

ب– أن الله – جل وعلا –: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]

---

١ – تفسير الطبري، الطبري (٢٠ /٣٥٦)
٢ – تفسير حدائق الروح والريحان، أحمد الأمين (٢٥ / ٢٣٨)
٣ – التدمرية، ابن تيمية (٤) .

ج – أن صفات الله كلها صفات كمال، لا نقص فيها بأي وجه من الوجوه[1] .

دلالة الآيات المتضمنة (تبارك الله) على الأسماء والصفات:

هذه الآيات المباركة اشتملت على الكثير من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، الدالة على جليل بركته وعظيم خيره وكمال صفاته، فقد ذكر الله تباركه – سبحانه – في مقام بيان سعة ملكه وعلمه – عز وجل – وتصرفه في خلقه بما يشاء، قال تعالى: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥]، وكذلك ذكر تباركه – سبحانه – في مقام بيان ملكه وقهره وقدرته – عز وجل – فقال: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١]، وذكر تباركه – سبحانه – في مقام بيان كرمه وجلاله وذلك في ختام سورته التي سميت باسمه – عز وجل – وهي سورة الرحمن، فبعد أن ذكر – سبحانه– جملة من أوصافه وآياته، وما أعده تعالى للمؤمنين في جناته مما يدل على جزيل عطائه وعظيم كرمه ختمها بقوله سبحانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨]، يقول الإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية المباركة:" أي: تبارك ذكر ربك يا محمد (ذي الجلال) يعني العظمة (والإكرام) يعني: ومن له الإكرام من جميع خلقه، ثم ذكر قول ابن عباس – رضي الله عنهما– (ذي الجلال والإكرام) يقول: ذو العظمة والكبرياء"[2]، فهذه الآيات المباركة قد احتوت على ألفاظ تدل على توحيد الأسماء والصفات، وورد فيها أسماء كثيرة: إما بصورة مباشرة، أو بدلالة الالتزام التي تُفهم من خلال التحليل للآيات، وهذا يشعر بعظمتها، وهي أعلام وأوصاف، ولها أثرها، فكل اسم ورد يقتضي وجود الصفة المختصة بالاسم، ويستلزم وجود الصفات الأخرى، وفيما يلي بيان ذلك:

أولًا: دلالة الآيات المباركة على أسماء الله تعالى:

لقد اشتملت هذه الآيات المباركة، على خمسة أسماء جليلة لله عز وجل، هي:

١ – **اسم الله الأعظم (الله):** دلّت الآيات على اسم الله الأعظم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾: [الأعراف: ٥٤]، وفي قوله سبحانه: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وفي قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[غافر: ٦٤]، والمقصود بلفظ الجلالة (الله): "هو المألوه المعبود، ذو الألوهية، والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات

١ – انظر: التدمرية، ابن تيمية (٣٩، وما بعدها)، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ابن عثيمين (٥– ١١) .

٢ – تفسير الطبري، الطبري (٢٢ / ٢٧٨)

الألوهية التي هي صفات الكمال، وأخبر أنه الله الذي له جميع معاني الألوهية، وأنه هو المألوه المستحق لمعاني الألوهية كلها، التي توجب أن يكون المعبود وحده، المحمود وحده، المشكور وحده، المعظم المقدس ذو الجلال والإكرام"[1]، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢]، قال ابن عباس – رضي الله عنهما –:" الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين"[2]، وقد اختار بعض السلف أنه الاسم الأعظم؛ أما السبب في ذلك فقالوا:" لأنه اسم لم يطلق على غيره، ولأنه الأصل في الأسماء الحسنى، ومن ثم أُضيفت إليه"[3]، قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله –:" واسم الله هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والله أعلم"[4] .

٢ – **الرب:** وقد جاء في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾: [الأعراف: ٥٤]، وفي قوله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[غافر: ٦٤] واسم الرب هو:" السيد الذي لا شِبهَ له، ولا مِثلَ في سؤدده، والمصلحُ أمرَ خلقه، بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر" [5]، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: "والرب هو السيد، والمالك، والمنعم، والمربي، والمصلح، والله تعالى: هو الرب بهذه الاعتبارات كلها، فلا شيء أوجب في العقول والفطر من عبادة من هذا شأنه– وحده لا شريك له–" [6]، يقول الطاهر ابن عاشور عند تفسيره للرب في قوله سبحانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٧٨]،:" وفي استحضار الجلالة بعنوان (الرب) مضافاً إلى ضمير المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم إشارة إلى ما في معنى الرب من السيادة المشوبة بالرأفة والتنمية، وإلى ما في الإضافة من التنويه بشأن المضاف إليه، وإلى كون النبي صلى الله عليه وسلم هو الواسطة في حصول تلك الخيرات للذين خافوا مقام ربهم بما بلغهم النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى"[7] واسم، (الرب): يدل بدلالة المطابقة على صفة الربوبية وذات الله، وعلى أحدهما بدلالة التضمن، وبدلالة اللزوم على الصفات الأخرى: كالحياة، والقيومية، والخلق، والسمع، والبصر .

---

١ – تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي (١٦٤) .
٢ – تفسير الطبري، الطبري (١ / ١٢١)
٣ – فتح الباري، ابن حجر (١١ / ٢٢٤)
٤ – تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي (١٦٤) .
٥ – جامع البيان، الطبري (١ / ٢٣٦) .
٦ – بدائع الفوائد، ابن القيم (١ / ١٣٢) .
٧ – التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٧ / ٢٧٧)

٣- **الخالق**: وذلك في قوله جل وعلا: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] ، فالخلق في اسم الله – تعالى-:" هو ابتداء النشء والخليقة، فالله تعالى خالقها، ومنشيئها، وهو متّممها، ومدبرها:﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]"[١]، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، قال الخطابي – رحمه الله – (٣٨٨هـ):" الخالق: هو المبدع للخلق، المخترع له على غير مثال سبق"[٢]، و قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في معنى قوله تعالى:" (ورزقكم من الطيبات) أي: من المآكل والمشارب في الدنيا، فذكر أنه خلق الدار، والسكان، والأرزاق، فهو الخالق الرزاق – سبحانه –" [٣]، وقال الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله –: (أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)"الخلق يقولون: هو الإيجاد بعد التقدير، يعني: الذي لا يأتي هكذا صدفة، بل لابد أولًا من تقدير ثم خلق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢]، وقد اختلف في قوله: (قدّره)، هل المراد: التقدير السابق على الخلق، أو المراد: التسوية بعد الخلق ؟ فاختلفوا على قولين، فإن قلنا بالأول صار ترتيبه بعد الخلق من باب الترتيب الذكري كقول القائل:

إن من ساد ثم ساد أبوه ثم ساد من بعد ذلك جده

وإذا قلنا: إن المراد: التسوية صار الترتيب على حسب الترتيب الوضعي، ويؤيد هذا القول الأخير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: ٢]، إذن فالخالق هو الذي يُوجُد بعد التقدير "[٤] .

٤- **ذو الجلال والإكرام**: وذلك في قوله سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨]، وهو من الأسماء الدالة على جملة أوصاف لا على معنى مفرد، المضافة إلى الله – عز وجل –، فالجلال يتضمن التعظيم، والإكرام يتضمن الحمد والمحبة، قال الخطابي – رحمه الله–:" والمعنى: أن الله – جل وعلا – مستحق أن يجل ويُكرم، فلا يجحد ولا يكفر به، وقد يحتمل أن يكون المعنى: أنه يُكرِم أهل ولايته ويرفع درجاتهم في الجنان، وقد يحتمل أحد الأمرين: وهو الجلال مضافاً إلى الله سبحانه بمعنى الصفة له، والآخر مضافاً إلى العبد بمعنى الفعل منه، كقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، فانصرف أحد الأمرين: وهو المغفرة إلى الله – سبحانه –، والآخر إلى

١ – تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج (٣٦) .
٢ – شأن الدعاء، الخطابي (٤٩) .
٣ – تفسير القران العظيم، ابن كثير (١٢ / ٢٠٧)
٤ – شرح صحيح مسلم، ابن عثيمين (٣ / ١٣٥) .

العباد وهو التقوى"[1]، و قال الطاهر بن عاشور – رحمه الله –: في معنى (ذو الجلال والإكرام)" معنى الجلال: العظمة، وهو جامع لصفات الكمال اللائقة به تعالى، و الإكرام: إسداء النعمة والخير، فهو إذًا حقيق بالثناء والشكر"[2]، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله – عند قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]،" فالمذوى وجهه – سبحانه – وذلك يستلزم أنه هو ذو الجلال والإكرام، فإنه إذا كان وجهه ذا الجلال والإكرام كان تنبيهًا على أنه – سبحانه – ذو الجلال والإكرام، كما أن اسمه إذا كان ذا الجلال والإكرام كان تنبيها على المسمى، وهذا يبين أنه يستحق أن يجل ويكرم"[3]، ومسألة الاسم والمسمى والعلاقة بينهما هي من المسائل المحدثة التي لم تكن معروفة عند أئمة السلف في القرون المفضلة، وإنما حدث النزاع فيها بعد الأئمة: أحمد وغيره، قال الإمام الطبري – رحمه الله –:" وأما القول في الاسم: أهو المسمى أم غير المسمى ؟ فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع، ولا قول إمام فيستمع، فالخوض فيه شين والصمت عنه زين، وحسب امرئ من العلم به والقول فيه أن ينتهي إلى قول الله – عز وجل ثناؤه – الصادق، وهو: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الإسراء: ١١٠] وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠])[4]، والذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة أن الاسم للمسمى فهو دليلٌ وعَلَمٌ عليه، ولا يطلق القول في أن الاسم هو عين المسمى أو هو غيره، بل لا بد من التفصيل، وذلك لأن الاسم يطلق ويُراد به المسمى تارة وليس هو، ويطلق ويُراد به الاسم ذاته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " والاسم يتناول اللفظ والمعنى المتصور في القلب، وقد يراد به مجرد اللفظ، وقد يراد به مجرد المعنى، فإنه من الكلام، والكلام اسم اللفظ والمعنى، وقد يراد به أحدهما ؛ ولهذا كان من ذكر الله بقلبه أو لسانه فقد ذكره، ولكن ذكره بهما أتم .. والله – تعالى – يأمر بذكره تارة وبذكر اسمه تارة، كما يأمر بتسبيحه تارة، وبتسبيح اسمه تارة"[5]، ويقول ابن أبي العز – رحمه الله – (٧٩٢هـ) في شرح العقيدة الطحاوية:" فالاسم يراد به المسمى تارة ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك، فهذا المراد به المسمى نفسه، وإذا قلت: الله اسم عربي والرحمن اسم عربي،

---

١ – شأن الدعاء، الخطابي (٩١ – ٩٢) وانظر: فقه الأسماء الحسنى، البدر (٣٩٢ – ٣٩٣)

٢ – التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٧ / ٢٧٨)

٣ – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٦ / ٣١٧ – ٣٢٢)

٤ – صريح السنة، الطبري (٢٦ – ٢٧)

٥ – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٦ / ٢٠٩ – ٢١٠)

والرحمن من أسماء الله – تعالى – ونحو ذلك فالاسم ها هنا للمسمى، ولا يقال غيره، لما في لفظ (غير) من الإجمال، فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله تعالى كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم فهذا أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى"[١]، وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله – عن مذهب السلف في الاسم والمسمى:" هذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون: أسماؤه – تعالى – غيره، وهي مخلوقة، ولمذهب من رد عليهم ممن يقول اسمه نفس ذاته لا غيره، وبالتفصيل تزول الشبه ويتبين الصواب، والحمد لله"[٢]، فالله –جل وعلا – ذو الجلال والإكرام، واسمه كذلك ذو الجلال والإكرام، فالجلال يتضمن غاية التعظيم، والإكرام يتضمن غاية الحمد والمحبة.

٥- **القدير**: وذلك في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]، واسم القدير يدل على ثبوت القدرة صفة لله عز وجل، وأنه – سبحانه –كامل القدرة فبقدرته أوجد الموجودات وبقدرته دبرها وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء والحساب، ويجازي المحسن بإحسانه والمسئ بإساءته، الذي إذا أراد شيئًا قال له: (كن فيكون)، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويجعل المؤمن مؤمناً، والكافر كافرًا، والبر برًا، والفاجر فاجرًا، ولكمال قدرته خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسه من تعب، ولا يعجزه أحد من خلقه ولا يفوته، بل هو في قبضته أينما كان، الذي سلمت قدرته من التعب والإعياء والعجز عما يريد، ولكمال قدرته كل شيء طوع أمره وتحت تدبيره، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولهذا الاسم ثمار جليلة وآثار مباركة على العبد، منها: أنه يقوي في المؤمن الاستعانة بالله وحسن التوكل عليه، وتمام الالتجاء إليه، ومن آثاره الطيبة تكميل الصبر وحسن الرضا بالله ؛ لأن كل شيء بقدرته وتحت تصرفه سبحانه، ومن آثاره المباركة سلامة الإنسان من أمراض القلوب، كالحقد والحسد ونحوهما، وكذلك تقوية عزيمة العبد وإرادته في الحرص على الخير وطلبه، والبعد عن الشر والهرب منه ؛ لإيمانه أن الأمور كلها بتقدير الله – عز وجل –، وتحت قدرته ومشيئته [٣]، جاء في تفسير حدائق الروح والريحان في معنى: (وهو على كل شيء قدير):" وهو – سبحانه وتعالى – وحده (على كل شيء) من الأشياء، وعلى كل مقدور من الإنعام والانتقام

---

١ – شرح الطحاوية، ابن أبي العز (١ / ١٠٢)
٢ – بدائع الفوائد، ابن القيم (١ / ٢١)
٣ – فقه الأسماء الحسنى، البدر (٢٦٣ – ٢٦٤)

وغيرهما (قدير) أي: مبالغ في القدرة عليه، ومنته إلى أقصاها، يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة"[1]، وأشار الطاهر بن عاشور – رحمه الله – إلى كمال قدرة الله – سبحانه – في قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾[غافر: ٦٤]، فقال:" فكانت خلقة الأرض دالة على عظيم قدرة الله عز وجل، وعلى دقيق حكمته، وعلى رحمته بالإنسان والحيوان المعمور بهما وجه الأرض"[2].

ثانيًا: دلالة الآيات المباركة على صفات الله سبحانه وتعالى:

لقد دلت هذه الآيات المباركة على صفات الله سبحانه وتعالى بصورة مباشرة، أو بدلالة الالتزام التي تُفهَم من خلال التحليل للآيات، و يُفهَم ذلك من خلال السياق العام للآيات، وعند التأمل فيها نرى أنها اشتملت على سبع صفات كريمة لله – جل وعلا – هي:

١- **تبارك الله:** وصف الله (بتبارك): جاء في جميع الآيات التي نتحدث عنها في هذا البحث ومعناه، وصف الله تعالى بالبركة بلفظ (تبارك) أي:" تبارك في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها"[3]، وهذا" ثناء يشعر بالعظمة والرفعة والسعة، كما يقال: تعاظم وتعالى ونحوه، فهو دليل على عظمته وكثرة خيره ودوامه، واجتماع صفات الكمال فيه، وأنّ كل نفع في العالم كان ويكون فمن نفعه – سبحانه وتعالى – وإحسانه، ويدل هذا الفعل أيضًا في حقه على العظمة والجلال وعلو الشأن"[4]، وهو من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله تعالى، ثم إن صفة البركة المضافة إلى الله – تعالى – نوعان [5]: أحدهما: صفة فعل: والصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئة الله تعالى وقدرته، ويفعلها الله تعالى متى شاء، كيف شاء[6]، ومن صفات الله تعالى الفعلية: إعطاء البركة وجعلها حيث شاء، والفعل منها (بارك)، وهذا الفعل (بارك) تارة يتعدى بنفسه، كما في قوله تعالى:﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء: ١]، ويتعدى بـ (في) كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ ﴾ [فصلت: ١٠]، أي:" جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس" [7]، ويتعدى بـ (على) كما في قوله تعالى: ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ﴾ [الصافات: ١١٣]، أي:" جعله ذا بركة

١ – تفسير حدائق الروح والريحان، أحمد الأمين (٣٠ / ١٢)
٢ – التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٤ / ١٩٠)
٣ – تيسير الكريم المنان، السعدي (٢٩١).
٤ – جلاء الأفهام، ابن القيم (٣٠٤).
٥ – انظر: وصف الله تعالى بـ" تبارك": معناه وآثاره، الحمدان (٦٠- ٦٢)
٦ – الصفات الآلهية تعريفها، أقسامها، د.محمد التميمي (٦٦).
٧ – تفسيرالقران العظيم، ابن كثير (٧ / ١٦٦).

والبركة زيادة الخير في مختلف وجوهه" [١]، والمفعول منه (مبارَك) وهو ما جعل كـذلك، فكان مباركا بجعل الله – تعالى- كما في قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾[الأنبيـاء: ٥٠]، وكل خير في الدنيا والآخرة ودوامه وزيادته فمن آثار بركة الله- تعـالى- وفـضله ورحمته، كما جاء في الحديث، قال النبي صلى الله عليه وسلم" البركة من الله" [٢]، والمعنى أن الله- تعالى-:" بارك في غيره بإحلال الخير الجزيل و البر الكثيـر، فكـل بركـة فـي الكون، فمن آثار رحمته"[٣] .

والنوع الثاني: صفة ذات، والصفة الذاتية هي الملازمة لذات الله تعالى، التي لم يـزل ولا يزال الله – تعالى – متصفاً بها[٤]، وصفة البركة باعتبارها صفة ذاتيـة تـضاف إلـى الله – تعالى- إضافة سائر الصفات، كصفة الرحمة والعزة وغيرها، فيقال: بركـة الله تعـالى، والفعل منها (تبارك) ؛ ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له – عز وجـل –، والـذي يدل عليه أن الله – عزوجل – يضيف لفظ (تبارك) إلى اسمه، كما قال تعـالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨]، وفي دعاء الاستفتاح عن عمـر رضـي الله عنـه (تبارك اسمك وتعالى جدك)[٥]،" أي كثرت بركة اسمك، إذ وَجَدَ كلّ خير مَن ذكر اسـمك" [٦]، و"المراد أن اسم الله نفسه كله بركة، وإذا كان اسم المسمى بركة فالمسمى أعظم بركـة وأشد وأولى"[٧]، فهو-سبحانه- المبارِك، وغيره هو المبارَك، كما قال المسيح عليه السلام: ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾[مريم: ٣١]، فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبـارَك [٨]، فإذا انصرف المعنى إلى صفة الله – تعالى-الذاتية من العلو والعظمة والمجـد، والمعنـى الدال على كمال بركته – تعالى- وعظمتها وسعتها كمعنـى التقـدّس والتعـاظم، وذلـك لاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال، وإنبائها عن نهاية التعظيم"[٩]، فهـذا لا يكـون إلا لله تعالى، الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]، قال ابـن عطيـة – رحمه الله – (٥٤٦هـــ):" (تَبارَكَ) فعل مختص بالله تعالى لم يستعمل في غيـره"[١٠]، وقال ابن دريد – رحمه الله – (٣٢١هـــ) :" (وتبارك) لا يوصف بـه إلا الله – تبـارك

١ – التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٣ / ١٦٢).
٢ – صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب شرب البركة والماء المبارك، حديث رقم: (٥٦٣٩).
٣ – تيسير الكريم المنان، السعدي (٢٩١).
٤ – الصفات الآلهية تعريفها، أقسامها، د.محمد التميمي (٦٥).
٥ – صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، حديث رقم: (٣٩٩)
٦ – عون المبعود وحاشية ابن القيم، الصديقي، آبادي (٢ / ٣٣٨).
٧ – الشرح الممتع على زاد المستقنع، ابن عثيمين (٣ / ٤٥)، وانظر: وصف الله تعالى بـ" تبارك": معناه وآثاره، الحمدان (٥٦ – ٥٩)
٨ – انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم (٢ / ١٨٥)، وصف الله تعالى بـ" تبارك": معناه وآثاره، الحمدان (٦٠- ٦٢)
٩ – تفسير أبي السعود، أبو السعود (٩ / ٢).
١٠ – المحرر الوجيز، ابن عطية (٤ / ١٩٩).

وتعالى–، ولا يقال: تبارك فلان، في معنى جلّ وعظم، هذه صفة لا تنبغي إلا لله عز وجل"[1]، أما إذا كان إطلاق لفظ (تبارك) بمعنى التفاؤل والتيمّن، كما يقال: تبارك علينا فلان، أي جاء ومعه الخير والبركة، ونحو ذلك من المعاني الصحيحة، فقد رأي بعض أهل العلم جواز ذلك، قال الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله –:" وقول العامة: أنت تباركت علينا، لا يريدون بهذا ما يريدونه بالنسبة إلى الله عز وجل، وإنما يريدون أصابنا بركة من مجيئك، والبركة يصح إضافتها إلى الإنسان إذا كان أهلًا لذلك، قال أسيد بن حضير – رضي الله عنه – حين نزلت آية التيمم بسبب عقد عائشة – رضي الله عنها – الذي ضاع منها:" ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر"[2].[3]

٢- **الاستواء**: وذلك في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾: [الأعراف: ٥٤]، واستواء الله – تعالى – على عرشه معناه: علوه واستقراره عليه علوا واستقرارا يليق بجلاله وعظمته، وقد ورد في سبعة مواضع من كتاب الله – جل وعلا –، وعرش الرحمن الذي استوى عليه: عرش عظيم محيط بالمخلوقات وهو أعلاها وأكبرها[4]، قال الحافظ ابن كثير–رحمه الله–:" وأما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾: [الأعراف: ٥٤]، فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًا ليس هذا موضع بسطها ؛ وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو: إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فالله لا يشبهه شيء من خلقه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١]، بل الأمر كما قال الأئمة: منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ؛ فمن أثبت لله – تعالى – ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله – تعالى –، ونفى عن الله – تعالى – النقائص فقد سلك سبيل الهدى"[5]، فمذهب السلف الصالح: أنه – جل وعلا – استوى على عرشه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل، بل على الوجه الذي يليق به مع تنزيه عما لا يجوز عليه، والاستواء في لغة العرب: يأتي

---

١ – جمهرة اللغة، ابن ريد (١ / ٣٢٥).
٢ – صحيح البخاري، كتاب التيمم (٣٣٤)، ومسلم، كتاب الحيض، باب التيمم (٢٨٩).
٣ – القول المفيد، ابن عثيمين (٢ / ٥١٥)، انظر: وصف الله تعالى بـ" تبارك": معناه وآثاره، الحمدان (٦٠– ٦٢)
٤ – فتح رب البرية تلخيص الحموية، ابن عثيمين (٤٧ – ٥١)
٥ – تفسير القران العظيم، ابن كثير (٦ / ٣١٩ – ٣٢٠)

بمعنى علا وارتفع وصعد واستقر[1]، قال القرطبي – رحمه الله – :" ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تُعلم حقيقته كما قال الإمام مالك – رحمه الله – : الاستواء معلوم – يعني في اللغة – والإيمان به واجب والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها"[2] .

٣- **العلو**: وذلك في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: [الأعراف: ٥٤]، فمعنى الاستواء العلو والارتفاع والاستقرار كما سبق، فاستواء الله – تعالى– على عرشه معناه: علوه واستقراره عليه علوا واستقرارا يليق بجلاله وعظمته، وفي قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، حيث أخبر– جل وعلا – بتباركه بإنزال الفرقان، ولا شك أن الإنزال والنزول يكون من أعلى إلى أسفل، فدل ذلك على علو الله سبحانه واتصافه بهذه الصفة الجليلة، وعلو الله على خلقه من الصفات المعلومة بالفطرة والعقل والسمع وآحاد هذه الأدلة لا تكاد تحصى ؛ ولهذا كان جماهير الخلق من جميع الطوائف على إثبات العلو[3]، وصفة العلو صفة ذاتية" وينقسم علوه – سبحانه – إلى قسمين: علو ذات وعلو صفات، فأما علو الذات فمعناه: أنه ما من صفة كمال إلا ولله –تعالى– أعلاها وأكملها، سواء أكانت من صفات المجد والقهر، أم من صفات الجمال والقدر، وأما علو الذات، فمعناه: أن الله بذاته فوق جميع خلقه"[4]، وصفة العلو اشتق منها: (العلي)، والعلي: هو العالي الرفيع الذي ليس فوقه شيء' وهو يدل على صفة العلو بالمطابقة مع دلالته على ذات الله، وعلى أحدهما بالتضمن، وبالالتزام على صفة العظمة، والاستواء، والكبرياء، والتدبير، والربوبية، يقول الشيخ محمد ابن عيثمين – رحمه الله –:" قوله: (تباركت وتعاليت)، تباركت أي: تعاظمت وحلت البركة في اسمك ؛ ولهذا كان اسمه – عز وجل– إذا حصل في شيء صار مباركًا، وقوله: (تعاليت) أي: ترفّعت عن كل نقص، وعلو الله – عز وجل –: علو ذاتي، وعلو وصفي، أي: هو العلي في ذاته، العلي في وصفه ؛ ولهذا عندما تقول: (سبحان ربي الأعلى) في السجود، فتستشعر أنه فوق كل شيء، وأنه هو الأعلى في جميع صفاته، الأعلى في علمه، الأعلى في سمعه، الأعلى في بصره، الأعلى في قدرته، الأعلى في حكمته، الأعلى في عزته، و قس على هذا، يعني: لا تظن أنك

١ – انظر: فتح القدير، الشوكاني (٢ / ٢٩٨)
٢ – انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩ / ٢٣٩)
٣ – الجامع لمباحث الأسماء والصفات، د.عيسى السعدي (١٧٨)
٤ – انظر: فتح البرية بتلخيص الحموية، ابن عثيمين (٣٩)

عندما تقول: (سبحان ربي الأعلى) في السجود – أن المعنى: الأعلى بذاته، بل هو الأعلى في كل وصف من صفاته، ويجمع هذا قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]" [1].

٤- **المشيئة**: وذلك في قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان:١٠]، ومشيئة الله تعالى هي إرادته الكونية، وهي نافذة فيما يحبه وما لايحبه، ونافذة على جميع العباد بدون تفصيل، ولا بد من وجود ما شاءه بكل حال، فكل ما شاء الله وقع ولا بد سواء كان فيما يحبه ويرضاه أم لا [2]، وهي من صفاته الفعلية الاختيارية اللائقة به، فنثبتها لله – عز وجل– على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وفق قوله جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، وفي قوله سبحانه:﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان:١٠]، إشارةً إلى أنه – تعالى– يعطي العباد على حسب المصالح، فيفتح على بعضهم أبواب المعارف والعلوم، ويسد عليهم أبواب الدنيا، ويفتح على آخرين أبواب الرزق، ويحرمهم لذة الفهم والعلم، حسب مشيئته وإرادته الصادرة عن كمال علمه ورحمته وحكمته وعدله – سبحانه –، لا اعتراض عليه ؛ لأنه فعال لما يريد[3] .

٥- **العلم**: وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٥]، قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – عند تفسير هذه الآية المباركة: (﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾رَبُّكَ"قدم الظرف ليفيد الحصر أي: لا يعلم متى الساعة إلا هو، ومن تمام ملكه وسعته أنه مالك الدنيا والآخرة، ولهذا قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، أي: في الآخرة فيحكم بينكم بحكمه العدل"[4]، ومعنى اتصاف الله بصفة العلم: أي الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والإسرار والإعلان، وبالعالم العلوي والسفلي، و بالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء، علم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا [5]، وللإيمان بهذا الصفة العظيمة آثار مباركة على العبد، منها مراقبة الله تعالى والانزجار عن المحرمات والمعاصي ؛ لمعرفة كمال علمه وإحاطته بكل شيء، قال الشيخ محمد الشنقيطي – رحمه الله – عن صفة الله

---

١ – شرح صحيح مسلم، ابن عثيمين (٣ / ١٣٣) .
٢ – شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين (١٥٨)
٣ – انظر: تفسير حدائق الروح والريحان، أحمد الأمين (١٩ / ٤٨٨)
٤ – تيسير الكريم المنان، السعدي (١٦٢٢)
٥ – فقه الأسماء الحسنى، البدر (١٦٥)

العلم:" أجمع العلماء على أن الإيمان بها أكبر واعظ وأعظم زاجر نزل من السماء إلى الأرض"[1]، ومن أعظم ما استأثر الله – عز وجل – بعلمه علم الساعة ووقت وقوعها، فلا يعلم ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، فينبغي للمسلم الاستعداد لها بالإيمان والعمل الصالح.

٦- **صفة اليدين**: وذلك في قوله سبحانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١]، قال القرطبي – رحمه الله –:" (﴿ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾ أي: ملك السموات والأرض في الدنيا والآخرة، وقال ابن عباس – رضي الله عنهما –: بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع، وقال محمد بن إسحاق: له ملك النبوة التي أعز بها من اتبعه، وذل بها من خالفه ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾، من إنعام وانتقام"[2]، وصفة اليدين من الصفات الخبرية الثابتة لله – عز وجل – على الوجه اللائق به، وقد دل على ثبوتها الكتاب والسنة، فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص: ٧٥] ومن أدلة السنة قوله صلى الله عليه وسلم:" يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ؟ فإنه لم يغض ما في يمينه" [3]، وقد أجمع أهل السنة على أنهما يدان حقيقتان لا تشبهان أيدي المخلوقين، وأنهما من صفاته الذاتية الثابتة له على الوجه اللائق به [4] .

٧- **الملك**: وذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥]، وفي قوله سبحانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١]، قال الإمام الشوكاني – رحمه الله – في معنى (الملك) الوارد في هذه الآيات المباركة:" والملك هو ملك السموات والأرض في الدنيا والآخرة، فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء" [5] ومعناه: أي المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة، والملك يرجع إلى أمور ثلاثة: الأول: ثبوت صفات الملك له التي هي صفاته العظيمة من كمال القوّة، والعزّة، والقدرة، والعلم المحيط، والحكمة الواسعة، ونفوذ المشيئة، وكمال التصرف، وكمال الرأفة والرحمة، والحكم العام للعالم العلوي والسفلي، والحكم العام في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٩] ، الثاني: أنَّ جميع الخلق مماليكُهُ وعبيدُهُ، ومفتقرون إليه، ومضطّرّون إليه في جميع شؤونهم، ليس لأحد خروج عن ملكه، ولا لمخلوق غنىً عن

---

١ – العذب المنير، الشنقيطي (١ / ٣٣٣)

٢ – الجامع لأحكام القران، القرطبي (٢١ / ١٠٩)

٣ – صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (لما خلقت بيدي)، حديث رقم: (٧٠١٦) .

٤ – فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ابن عثيمين (٦٩) .

٥ – فتح القدير، الشوكاني (٥ / ٣٤٣)

إيجاده وإمداده، ونفعه ودفعه، ومنّه وعطائه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [فاطر: ١٥-١٧]، الثالث: أنَّ له التدبيرات النافذة، يقضي في ملكه بما يشاء، ويحكم فيه بما يريد، لا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، له الحكم فيه تقديرًا وشرعًا وجزاءً [١].

المطلب الثاني: تقرير النبوة:

صلاح المعاش والمعاد وسعادة الدنيا والآخرة ؛ إنما تكون باتباع النور الذي أنزله الله – عز وجل– على أنبيائه ورسله عليهم السلام، فالشرع نور الله في أرضه، وحصنه الذي من دخله كان من الآمنين، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٤]، وقال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، فحاجة الناس إلى ما جاء به الأنبياء والرسل عليهم السلام من الرسالة، فوق كل حاجة، فهي السبيل إلى معرفة الرب سبحانه، ومعرفة شريعته، وثوابه وعقابه، معرفة تفصيلية يقينية [٢]، وفي هذا المطلب سيتم الحديث عن تعريف النبوة، وبيان شدة الحاجة إليها، ومذهب أهل السنة والجماعة فيها، وما اشتملت عليه الآيات المباركة من الدلالة عليها، من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: معنى النبوة وحاجة الناس إليها:

النبوة في اللغة: مشتقة من النبأ بمعنى الخبر، قال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [التحريم: ٣]، جاء في لسان العرب:" النبأ: الخبر، والنبيء: المخبر عن الله عز وجل ؛ لأنه أنبأ عنه، وهو فعل بمعنى فاعل" [٣] .

والنبوة شرعًا: هي إعلام الله – تعالى– من اجتبى من الناس لرفعته والإعلاء من شأنه، بإنبائه بالوحي الذي أراده له، أو لغيره [٤] .

وحقيقتها أنها: واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، ودعوة من الرحمن الرحيم– تبارك وتعالى– لخلقه ؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا

١ – فقه الأسماء الحسنى، البدر (١٢٢ – ١٢٣)

٢ – خلاصات في مباحث النبوات، د.عيسى السعدي (١٢ – ١٣)، وانظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٩ / ١٠١) .

٣ – لسان العرب، ابن منظور (١ / ١٦٢) مادة نبأ

٤ – عقيدة المؤمن، الجزائري (١٥٣) .

إلى سعة الدنيا والآخرة، فهي نعمة مهداة من الله – تبارك وتعالى – إلى عباده، وفضل إلهي يتفضل بها عليهم[1].

حاجة الناس إليها:

الرسالة ضرورية للعباد لا بد لهم منها، فهي روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟! والدنيا مظلمة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق فى قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها، فهو في ظلمة، ويعتبر من الأموات؛ قال الله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾: [الأنعام: ١٢٢]، وقد سمى الله – تعالى– رسالته روحًا، والروح إذا عُدم فقدت الحياة ؛ قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢][2]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:" والإيمان بالنبوة أصل النجاة والسعادة، فمن لم يحقق هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال، والإيمان والكفر، ولم يميز بين الخطأ والصواب"[3]، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:"من هاهنا تَعْلم اضطرارَ العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال [4]" .

المسألة الثانية: مذهب أهل السنة والجماعة في النبوة:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن النبوة اصطفاء من الله، واختيار منه لعبده من بين سائر الناس، يختصه برحمته، ويصطفيه بفضله ومنّته، وليست مجرد صفة إضافية، وقالوا: إن النبي يختص بصفات ميزه الله بها على غيره، وبصفات فضّله بها بعد البعثة لم تكن موجودة فيه من قبل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:" والله –سبحانه– قد أخبر أنه يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس، والاصطفاء: افتعال من التصفية، كما

---

١ – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٩ / ٩٥)، زاد المعاد، ابن القيم (١ / ٦٨)، مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٢ / ٨٦٣)

٢ – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٩ / ٩٣)

٣ – النبوات، ابن تيمية (٤٤٧) .

٤ – زاد المعاد، ابن القيم (١ / ٦٨)

أن الاختيار: افتعال من الخيرة، فيختار من يكون مصطفى، وقد قال: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٢٤]، فهو أعلم بمن يجعله رسولا ممن لم يجعله رسولا، ولو كان كل الناس يصلح للرسالة لامتنع هذا، وهو عالم بتعيين الرسول، وأنه أحق من غيره بالرسالة، كما دل القرآن على ذلك .. إلى أن قال: والله سبحانه اتخذ رسولا فضله بصفات أخرى لم تكن موجود فيه من قبل إرساله، كما كان يظهر لكل من رأى موسى وعيسى ومحمداً من أحوالهم وصفاتهم بعد النبوة، وتلك الصفات غير الوحي الذي ينزل عليهم"[١].

المسألة الثالثة: دلالة الآيات على إثبات النبوة:

لقد اشتملت هذه الآيات المباركة على تقرير النبوة وذلك في قوله سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، وفي قوله سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾[الفرقان:١٠] ، فقد ذكر الله –جل وعلا– تباركه –سبحانه– في أول سورة الفرقان في مقام إرسال نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم نذيرًا للعالمين، وتشريفه بذلك ورفع مكانته صلى الله عليه وسلم،" فالله– تعالى– هو الذي نزل القرآن على عبده الأخلص، ونبيه الأخص، وحبيبه الأعلى، وصفيه الأوْلى محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وفي الإتيان بعنوان العبد إعلام بكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أقصى مراتب العبودية، وتشريف له بالعبودية المطلقة، وتفضيل له بها على جميع الأنبياء عليهم السلام، وتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبدًا مرسلا"[٢]، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – في تفسير هذه الآية المباركة: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾:" ﴿ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ ﴾: محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كمل مراتب العبودية وفاق جميع المرسلين،﴿ لِيَكُونَ ﴾: ذلك الإنزال للفرقان على عبده ﴿ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾: ينذرهم بأس الله ونقمته، ويبين لهم مواقع رضا الله من سخطه، حتى إن من قَبِل نذارته وعمل بها؛كان من الناجين في الدنيا والآخرة، الذين حصلت لهم السعادة الأبدية والملك السرمدي، فهل فوق هذه النعمة وهذا الفضل من فضل؟!"[٣]، ويشير الإمام الشوكاني– رحمه الله– إلى مقاصد سورة الفرقان بقوله:" تكلم – سبحانه – في هذه السورة على التوحيد لأنه أقدم وأهم، ثم النبوة لأنها الواسطة، ثم المعاد لأنه الخاتمة"[٤]، ويبين الطاهر بن عاشور – رحمه الله – معنى الاقتصار على وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنذارة مع أنه جاء بالبشارة أيضًا، فيقول

١ – منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (٤٣٧/٥ – ٣٤٨) ــ النبوات، ابن تيمية (٣٠-٣١).
٢ – انظر: تفسير حدائق الروح والريحان، أحمد الأمين (١٩ / ٤٧١)
٣ – تيسير الكريم المنان، ابن سعدي (١١٨٥)
٤ – فتح القدير، الشوكاني (٤ / ٨١)

– رحمه الله –:" والنذير: المخبر بسوء يقع، وهو فعيل بصيغة اسم الفاعل مثل الحكيم، والاقتصار في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم هنا على النذير دون البشير كما في قوله جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨]؛ لأن المقام هنا لتهديد المشركين الذين كذبوا بالقرآن وبالرسول عليه الصلاة والسلام، فكان مقتضيًا لذكر النذارة دون البشارة، وفي ذلك اكتفاء لأن تخطر ببال السامع عند ذكر النذارة، وفي هذه الآية جمع بين التنويه بشأن القرآن وأنه منزل من الله، وتنويه بشأن النبي عليه الصلاة والسلام ورفعة منزلته عند الله وعموم رسالته"[١]، وفي قوله سبحانه﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ﴾ [الفرقان:١٠]، إثبات لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودفاعًا عنه من الله – جل وعلا – ؛ لتكذيب المشركين له وتعنتهم في عدم التصديق به باعتراضهم في الآيات السابقة لهذه الآية وقولهم: هلا كان ملكًا أو يساعده ملك، ولِمَ يأكل الطعام و يمشي في الأسواق ؟، وهلا أُلقي إليه كنز ومالٌ مجموع من غير تعب، أو تكون له جنةٌ يأكل منها، فأخبر –سبحانه – في هذه الآية المباركة رادًا عليهم ومبيناً فضله على رسوله صلى الله عليه وسلم وعظيم منته ؛ بأنه – سبحانه – قادرٌ على أن يعطيك خيرًا كثيرًا في الدنيا، فقال: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ﴾: أي يعطيك قصورا مرتفعة مزخرفة، فقدرته ومشيئته لا تقصر عن ذلك، ولكنه – تعالى – لما كانت الدنيا عنده في غاية البعد والحقارة ؛ أعطى منها أولياءه ورسله ما اقتضته حكمته منها، وطلبهم هذا ظلم وجراءة وعناد يستحقون عليه العقوبة[٢]، فيتضح لنا من خلال هذه الآيات المباركة تقريرها للنبوة، وإثبات نبوة خير البشر وأفضل الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، مما يوجب على المسلم اتباع سنته، وتصديق خبره، وطاعة أمره ومعرفة هديه والسير على منواله واتباع أثره، فلا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه صلوات ربي وسلامه عليه .

المطلب الثالث: إثبات إنزال القرآن الكريم:

من رحمة الله– تعالى– بعباده المسلمين وكمال بركته عليهم أن أرسل إليهم أفضل الرسل محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، وأنزل إليهم أفضل الكتب القرآن الكريم، ففيه أحكامه العادلة، وأخباره الصادقة، ووصاياه النافعة، وأوامره ونواهيه الكفيلة بإصلاح البشرية، قال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ

---

١ – التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٨ / ٣١٧)

٢ – انظر: تيسير الكريم المنان، السعدي (١١٨٩ – ١١٩٠)

﴿ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩]، وسنتناول في هذا المطلب الحديث عن تعريف القرآن الكريم وبيان فضله، ومذهب أهل السنة والجماعة فيه، ثم دلالة هذه الآيات المباركة على نزوله من الله – جل وعلا –، من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: تعريف القرآن الكريم وفضله:

تعريف القرآن لغة: يقال: قرأ يقرأ قراءة وقرآنا، فهو مصدر (قرأ)، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة:١٧-١٨]، أي: قراءته، ثم نُقل من هذا المعنى المصدري، وجُعل اسمًا للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من باب إطلاق المصدر على مفعوله، فالقرآن على هذا يكون بمعنى المقروء، ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته، فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول: إنه يقرأ القرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤][١].

القرآن اصطلاحًا: هو كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المعجز، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس[٢] .

فضل القرآن ومكانته:

إن فضل القرآن الكريم وشرفه، ورفع قدره وعلو مكانته أمر لا يخفى على المسلمين، فهو كتاب الله رب العالمين، وكلام خالق الخلق أجمعين،" فيه نبأ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل، من ابتغي الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم"[٣]، والقرآن الكريم كلام الله العلي الكبير منه بدأ وإليه يعود، أنزله الله – تعالى– على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم هدايةً للناس وإخراجًا لهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، وجعله حجة على الناس أجمعين، وقد جعل سلفنا الأول، القرآن العظيم شعارهم، والعمل به دثارهم، وكل من دعى إليه وحمل الناس على التمسك به فثوابه عند الله عظيم وأجره على الله كبير، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ

١ – انظر: مناهل العرفان، الزرقاني (١ / ١٤)، المحرر في علوم القرآن، الطيار (٢٠)، مباحث في علم العقيدة، السحيباني (٨٤)

٢ – انظر: المحرر في علوم القرآن، الطيار (٢٢)، مباحث في علم العقيدة، السحيباني (٨٤)

٣ – انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٥ / ٢٦٨)

ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٠]، على قراءة: (يُمَسِّكُونَ): أي يحملون غيرهم على التمسك بالكتاب، وقال: صلى الله عليه وسلم:"خيركم من تعلم القرآن وعلمه" وفي لفظ (أفضلكم) [١] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من قرأ حرفا من كتاب الله فله به والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"[٢]، وقال فروة بن نوفل الأشجعي- رحمه الله -:"كان خباب بن الأرت لي جارًا، فخرجنا مرة من المسجد، فأخذ بيدي فقال: يا هنّاه، تقرب إلى الله ما استطعت، وأعلم أنك لست تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه"[٣].[٤]

المسألة الثانية: مذهب أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم:

أن القرآن الكريم العربي كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، والله تكلم به على الحقيقة، فهو كلامه حقيقة لا كلامَ غيرِه، وإذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرج ذلك عن أن يكون كلام الله، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا لا إلى من بلغه مؤديًا والله تكلم بحروفه ومعانيه بلفظ نفسه، ليس شيء منه كلامًا لغيره لا لجبريل ولا لمحمد ولا لغيرهما، والله تكلم به أيضا بصوت نفسه، فإذا قرأه العباد قرأوه بصوت أنفسهم، فإذا قال القارئ مثلًا:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، كان هذا الكلام المسموع منه كلام الله لا كلام نفسه وكان هو قرأه بصوت نفسه لا بصوت الله، وكما أن القرآن كلامه فكذلك هو كتابه ؛لأنه كتبه في اللوح المحفوظ، ولأنه مكتوب في المصاحف، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾[الواقعة:٧٧ - ٧٨] [٥]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:" ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله، أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا، وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف"[٦] .

---

١ - صحيح البخاري، كتاب فضائل القران، باب خيركم من تعلم القران، حديث رقم (٤٧٣٩) .

٢ - سنن الترمذي، كتاب: ثواب القران، باب: ما جاء في من قرأ حرفا من القران ماله من الأجر، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

٣ - رواه أبو عبيد (٣٢)، ابن أبي شيبة (٥١١) والحاكم (٢ / ٤٧٩)

٤ - انظر: فضائل القرآن للمستغفري - تحقيق: د. أحمد فارس سلوم (١/ ٦-١٣).

٥ - شرح العقيدة الواسطية، خليل الهراس (٧٠ - ٧١).

٦ - العقيدة الواسطية، ابن تيمية (٩٦- ٩٧).

المسألة الثالثة: دلالة الآيات على نزول القرآن الكريم:

لقد دلت هذه الآيات المباركة على نزول القرآن الكريم من الله – عز وجل– وذلك في قوله سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، فقد ذكر الله – جل وعلا– تباركه في مقام بيان تنزل القرآن الكريم وعظمته وشرفه، ووصفه بالفرقان الذي فرق به بين الحق والباطل والتوحيد والشرك والظلمات والنور،" فالمراد: بالفرقان في هذه الآية المباركة القرآن الكريم سُمي فرقانًا؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل بأحكامه، أو بين المحق والمبطل؛ أي: بين المؤمن والكافر، أو لأنه نزل مفرّقًا في أوقات كثيرة، ولهذا قال نزّل بالتشديد لتكثير التفريق، ثم علل التنزيل بقوله: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾، أي: ليكون العبد منذِرًا بالقرآن للإنس والجن ممن عاصره، أو جاء بعده مخوفا لهم عذاب الله وموجبات سخطه، والمراد بعبده محمد صلى الله عليه وسلم، وبالعالمين الإنس والجن" [(١)]، قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله– في تفسير هذه الآية المباركة:"﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾، نزّل: فعل، من التكرار والتكثر، لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة، والقرآن نزل منجما مفرقا مفصلا، آيات بعد آيات وأحكاما بعد أحكام، وسورًا بعد سور، وهذا أشد اعتناء بمن أنزل عليه كما قال في أثناء هذه السورة: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[الفرقان: ٣٢]، ولهذا سماه هاهنا الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشد، والحلال والحرام" [(٢)]، ويشير الإمام القرطبي – رحمه الله – إلى السبب في تسمية القرآن الكريم بالفرقان قائلًا:" وفي تسميته فرقانًا وجهان: أحدهما: لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر، والثاني: لأن فيه بيان ما شرع من الحلال والحرام"[(٣)]، وفي قول الله سبحانه: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: [الأعراف: ٥٤] في آية الأعراف المتضمنة (تبارك الله) عز وجل رد على الطوائف المنحرفة القائلين بخلق القرآن، يقول أبوحيان – رحمه الله – عند تفسيرها:" وعلى هذا قال النقاش وغيره: الآية ردٌ على القائلين بخلق القرآن، لأنه فرق بين المخلوقات والكلام؛ إذ الأمر كلامه"[(٤)]، والقول بخلق القرآن من البدع التي ظهرت على أيدي المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن سار على نهجهم، ثم عظمت هذه الفتنة في عهد الخليفة العباسي المأمون، وثبت الله – عز وجل– أهل السنة بإمامهم الإمام أحمد بن حنبل– رحمه الله – على الحق وهو:" أن القرآن كلام

---

١ – تفسير حدائق الروح والريحان، أحمد الأمين (١٩ / ٤٧٢)

٢ – تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٠ / ٢٨٣)

٣ – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥ / ٣٦٥ – ٣٦٦)

٤ – البحر المحيط، ابو حيان (٤ / ٣١٢)

الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة على الوجه اللائق به"[١]، وقد خالف أهل السنة في هذه المسألة عدة طوائف نذكرها إجمالاً مع الرد المختصر عليها، الطائفة الأولى: الجهمية: حيث يقولون: إن الله لا يتكلم وإنما خلق كلاما في غيره وجعله يعبر عنه، فإضافة الكلام عندهم إلى الله مجاز لا حقيقة؛ لأنه خلق الكلام فهو متكلم بمعنى: خالق الكلام في غيره[٢]، وهذا القول باطل مخالف للأدلة السمعية والعقلية، ومخالف لقول السلف، وأئمة المسلمين؛ فإنه لا يعقل أن يُسمى متكلمًا إلامن قام به الكلام حقيقة، فكيف يقال (قال الله والقائل غيره) ؟! وكيف يقال (كلام الله، وهو كلام غيره) ؟![٣] والطائفة الثانية: المعتزلة حيث يقولون: إن كلام الله الحروف دون المعاني، فمسمى القول والكلام عند الإطلاق اسم اللفظ فقط، والمعنى ليس جزء مسماه، بل مدلول مسماه[٤]، وهو قول باطل: وذلك أن المذهب الحق هو أن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه لقيام أدلة الكتاب والسنة على ذلك[٥]، والطائفة الثالثة: الكلابية والأشاعرة فالكلابية قالوا عن القرآن إنه حكاية عن كلام الله، والأشاعرة قالوا: أن القرآن عبارة عن كلام الله، ولا يقال إنه حكاية عن كلام الله، لأن كلام الله عند الطائفتين هو المعنى القائم في نفسه وهو لازم لذاته، فالقرآن عندهم نوعان: ألفاظ ومعان، فالألفاظ مخلوقة وهي هذه الألفاظ الموجودة والمعاني قديمة قائمة بالنفس وهي معنى واحد لا تبعض فيه ولا تعدد[٦]، وهما قولان باطلان أشار إلى بطلانهما شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله – بقوله:" ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديا"[٧]، فإن المبلغ المؤدي إنما يُسمى واسطة فقط، قال تعالى:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]، والسماع المذكور في هذه الآية إنما يكون بواسطة المبلغ، وسمى المسموع كلام الله، فدل على أن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئًا[٨]، ثم إن الله يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته، فصفة الكلام صفة ذات وفعل، وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم، فكل حي وصفه الله بالكلام،

---

١ – انظر: العقيدة الواسطية، ابن تيمية (٩٦)

٢ – شرح العقيدة الواسطية، الفوزان (١٨٣)، شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار (٥٢٨ – ٥٣٩)

٣ – نفس المصدر السابق .

٤ – انظر: مختصر الصواعق، ابن القيم (٢ / ٤٤٨)، شرح العقيدة الواسطية، الفوزان (١٨٥)

٥ – شرح العقيدة الواسطية، الفوزان (١٨٥)

٦ – انظر: شرح العقيدة الواسطية، الفوزان (١٨٤)، الإنصاف، الباقلاني (٩٩، ١٠٦)، الإرشاد، الجويني (١٠٩– ١٣١) أصول الدين، البغدادي (٦١ – ٦٥)، الملل والنحل، الشهرستاني (١ / ١٠٨ – ١٠٩)

٧ – العقيدة الواسطية، ابن تيمية (٩٦)

٨ – شرح العقيدة الواسطية، الفوزان (١٨٤)

كالبشر والملائكة والجن وغيرهم، فكلامهم لا بد أن يقوم بأنفسهم، وهم يتكلمون بمشيئتهم وقدرتهم، والكلام صفة كمال لا صفة نقص، ومن تكلم بمشيئة أكمل ممن لا يتكلم بمشيئة، فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق ؟ ![1]، ومحصلة أقوال هذه الطوائف هو نفي صفة الكلام عن الله – عز وجل–، وهذا يؤدي إلى إنكار الشرع والقدر، كما ذكر ذلك الإمام ابن القيم– رحمه الله–، فأما الشرع: فلأن الرسالات إنما جاءت بالوحي، والوحي كلام مبلغ إلى المرسل إليه فإذا نفينا الكلام انتفى الوحي، وإذا انتفى الوحي انتفى الشرع، وأما القدر: فلأن الخلق يقع بأمره، بقوله: كن فيكون ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فإذا انتفى الكلام انتفى الأمر وانتفى القدر[2]، يقول الإمام القرطبي –رحمه الله– في تفسير قوله سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾،:" فالخلق المخلوق، والأمر كلامه الذي هو غير مخلوق، وهو قوله: (كن) ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وفي تفريقه بين الخلق والأمر دليلٌ بيِّنٌ على فساد من قال بخلق القرآن، إذ لو كان كلامه– الذي هو أمر– مخلوقًا لكان قد قال: ألا له الخلق والخلق، وذلك عي من الكلام ومستهجن ومستعيب، والله يتعالى عن التكلم بما لا فائدة فيه، ويدل عليه قوله سبحانه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [الروم: ٢٥]، وقوله: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾، فأخبر سبحانه أن المخلوقات قائمة بأمره، فلو كان الأمر مخلوقًا لافتقر إلى أمر آخر يقوم به، وذلك الأمر إلى أمر آخر، إلى ما لانهاية له، وذلك محال، فثبت أن أمره الذي هو كلامه قديم أزلي غير مخلوق، ليصح قيام المخلوقات به، ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الحجر: ٨٥]، وأخبر – تعالى– أنه خلقهما بالحق، يعني القول، وهو قوله للمكونات: (كن) فلو كان الحق مخلوقًا لما صح أن يخلق به المخلوقات؛ لأن الخلق لا يخلق بالمخلوق، يدل عليه:﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[الصافات:١٧١]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾[الأنبياء: ١٠١]، ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾[السجدة: ١٣]، وهذا كله إشارة إلى السبق في القول في القدم، وذلك يوجب الأزل في الوجود، وهذه النكتة كافية في الرد عليهم"[3]، فالقرآن الذي بين أيدينا نتلوه ونسمعه ونحفظه ونكتبه هو كلام رب العالمين، وإله الأولين والآخرين، وهو حبله المتين، وصراطه المستقيم، وهو الذكر المبارك والنور المبين، تكلم الله به حقيقة على الوصف

١ – انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية (٢ / ٦ – ٧)

٢ – انظر: مختصر الصواعق المرسلة، ابن القيم (٤٩٤)، شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين (٤٠٧)

٣ – أحكام القران، القرطبي (٩ / ٢٤٢ – ٢٤٣)

الذي يليق بجلاله وعظمته، وصفه الله بأوصاف عظيمة لنعظمه، ونحترمه ونتدبره ونعمل به [1].

المطلب الرابع: إثبات القدر:

الإيمان بالقدر أصل عظيم من أصول الدين، فهو الركن السادس من أركان الإيمان الستة التي لا يتم الإيمان إلا بها، وقد اشتملت هذه الآيات المباركة على الدلالة عليه وتقريره، وسيتم الحديث في هذا المطلب عن تعريف القدر ومعنى الإيمان به، وأهميته، ودلالة الآيات عليه من خلال المسائل التالية: **المسألة الأولى: تعريف القدر ومعنى الإيمان به:**

القدر في اللغة: يقال: قدر الإله كذا تقديرًا، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور، فيأتي القدر بمعنى: التقدير والقضاء والحكم [2].

والقدر شرعًا: هو تقدير الله- عز وجل- الأشياء في القدم، وعلمه- سبحانه- أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة وكتابته- سبحانه - لذلك ومشيئته لها ووقوعها على حسب ما قدرها - جل وعلا - وخلقه لها[3]، قال الإمام النووي - رحمه الله - القدر:" معناه: أن الله - تبارك وتعالى- قدر الأشياء في القدم، وعلم- سبحانه - أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها - سبحانه وتعالى-" [4]، وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - القدر:" هو علمه الأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها"[5].

معنى الإيمان بالقدر:

هو:" ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: وهو أن الله خالق كل شيء ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئًا إلا وهو قادر عليه، وأنه -سبحانه- يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم وأرزاقهم

١ - انظر: مجالس شهر رمضان، ابن عثيمين (٥٩).
٢ - انظر: لسان العرب، ابن منظور (٥ / ٧٤)، تاج العروس، الزبيدي (٧ / ٣٧٠)
٣ - شفاء العليل، ابن القيم (٢٩)
٤ - شرح مسلم، النووي (١ / ١٥٤)
٥ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧ / ٤٨٢)

وأعمالهم، وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون" [١]، فيشمل الإيمان بتقدير الله تعالى لما كان وما يكون، وذلك يقتضي الإيمان بمراتب القدر الأربع: العلم والكتابة والمشيئة والخلق[٢]، قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –:" مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، أربع مراتب: الأولى: علم الرب – سبحانه – بالأشياء قبل كونها، المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها، المرتبة الثالثة: مشيئته لها، الرابعة: خلقه لها"[٣].

المسألة الثانية: أهمية الإيمان بالقدر:

للإيمان بالقدر أهمية كبيرة ومكانة جليلة، فهو أحد أركان الإيمان العظام، وأحد مباني الدين الجسام، فالقدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه، كما قال ذلك ابن عباس –رضي الله عنهما–[٤]، والإيمان بالقدر يورث حلاوة الإيمان فلن يجد العبد حلاوة الإيمان حتى يؤمن بالقدر، فعن الوليد بن عبادة، قال:" دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي، فقال: يابني، إنك لن تطعم طعم الإيمان، ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قال: قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر من شره ؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك"[٥]، وكذلك مما يدل على أهمية الإيمان بالقدر ما يترتب على الإيمان به من ثمرات جليلة منها[٦]: تحقيق كمال التوكل على الله – عز وجل –، وتحريك القلب نحو محبة الله ورجائه وخوفه، وتلك أركان العبادة وبها تنال السعادة، و الوصول إلى كمال الإخلاص لله – سبحانه – ؛ لأن المؤمن بالقدر لن ينظر إلى مدح الناس وذمهم، ولن ينتظر نفعهم ولن يخشى ضرهم، ثم إن الإيمان بالقدر يطهر النفس من داء الحسد، فلا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لإيمانه بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، وله الحكمة البالغة، قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢]، ثم إن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر، ونفع وضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير

---

١ – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٨ / ٤٤٩ – ٤٤٥٠)
٢ – انظر: دراسات في علم العقيدة، ناصر القفاري (٤ / ١٦)
٣ – شفاء العليل، ابن القيم (٢٩)
٤ – أخرجه الآجري في الشريعة (٢ / ٨٧٥)، وابن بطة في الإبانة (٤ / ١٥٨)
٥ – أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٧ / ٣٧٨)، وقال محققوه:" إسناده حسن"
٦ – انظر: دراسات في علم العقيدة، القفاري (٤ / ٩٤ – ٩٥)

مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل، وإفراده بالطاعة، وحفظ حدوده، فإن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار[١] .

المسألة الثالثة: دلالة الآيات على الإيمان بالقدر:

لقد اشتملت هذه الآيات المباركة على إثبات القدر، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورٗا ﴾ [الفرقان:١٠]، فقد ذكر الله تباركه -سبحانه- في مقام بيان نفاذ مشيئته وإرادته عز وجل، والرد على المشركين المستكبرين الذين يريدون أن يبعث الرسول على أوصافهم وأهوائهم، وفي قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾: [الأعراف: ٥٤]، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي في بيان معنى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾:" أي: له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها، والأمر المتضمن للشرائع والنبوات، فالخلق يتضمن أحكامه الكونية القدرية، والأمر يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، ثم أحكام الجزاء، وذلك يكون في دار البقاء"[٢]، ويشير الطاهر بن عاشور – رحمه الله – إلى معنى قوله – عز وجل – : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورٗا ﴾ بقوله:" وهذه الجملة استئناف واقع موقع الجواب في قولهم: (أو تكون له جنة ..) أي: جعل لك خيرًا من الذي اقترحوه، أي أفضل منه، أي إن شاء عجله في الدنيا، فالإشارة إلى المذكور من قولهم، فيجوز أن يكون المراد بالجنات والقصور جنات في الدنيا وقصورًا فيها، أي خيرًا من الذي اقترحوه دليلًا على صدقك في زعمهم بأن تكون عدة جنات وفيها قصور، وبهذا فسر جمهور المفسرين، وعلى هذا تكون (إن) الشرطية واقعة موقع (لو)، أي: أنه لم يشأ، ولو شاء لفعله، ولكن الحكمة اقتضت عدم البسط للرسول في هذه الدنيا، ولكن المشركين لا يدركون المطالب العالية"[٣]، ويذكر الإمام القرطبي – رحمه الله – في قوله سبحانه: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾ ، مسألتين:" الثانية منهما: أن الأمر ليس من الإرادة في شيء، والمعتزلة تقول: الأمر نفس الإرادة، وليس بصحيح، ألاترى أنه أمر ابراهيم بذبح ولده ولم يرده ؟ وأمر نبيه أن يصلي مع أمته خمسين صلاة، ولم يرد منه إلا خمس

١ – جامع العلوم والحكم، ابن رجب (١ / ٤٨٤)

٢ – تيسير الكريم المنان، السعدي (٥٥)

٣ – التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٨ / ٣٣١)

صلوات، وقد أراد شهادة حمزة حيث يقول: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ [آل عمران:١٤٠]، وقد نهى الكفار عن قتله ولم يأمرهم به، وهذا صحيح نفيس في بابه، فتأمله"[١]، والأمر والإرادة يقسمهما أهل السنة والجماعة إلى نوعين، قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: (لفظ الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة كونية شاملة لجميع المخلوقات، كقوله: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧]، وقوله: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ﴾ [الإسراء: ١٦]، ونظائر ذلك، وإرادة دينية أمرية لا يجب وقوع مرادها، كقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٧]) [٢]، وكان سبب ضلال الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة من الجبرية الجهمية ومن سار على نهجهم، والقدرية المعتزلة ومن سار على نهجهم عدم التفريق بينهما، يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي:" منشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا فقالت: الجبرية الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوبًا مرضيًا، وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدورة ولا مقضية فهي خارجة عن مشيئته وخلقه، وقد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة"[٣]، وقد ذكر الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله – الفرق بين الإرادتين وبين أنه ليس كل ما أمر الله به فإنه يحبه، فقال:" فصار الفرق بين الإرادتين من وجهين: أحدهما: الإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد والشرعية لا يلزم، والثاني: الإرادة الشرعية تختص فيما يحبه الله، والكونية عامة فيما يحبه وما لا يحبه، فإذا قال قائل:كيف يريد الله تعالى كونًا ما لايحبه ؟! بمعنى:كيف يريد الكفر أو الفسق أو العصيان وهو لا يحبه ؟! فالجواب: أن هذا محبوب إلى الله من وجه مكروه إليه من وجه آخر، فهو محبوب إليه لما يتضمنه من المصالح العظيمة، مكروه إليه لأنه معصية"[٤]، فهذه الآيات المباركة تقرر القدر وتثبته فالله– جل وعلا– علم كل شئ، وكتبه، والكون كله ملكه، وتحت تصرفه، فهو الخالق وما عداه مخلوق، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

المطلب الخامس: إثبات اليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر أحد أصول الإيمان الستة التي لا يصح إيمان المسلم إلا بها، و له أثر عظيم في حياة المسلم وطاعته لأوامر الله – عزو جل – واجتناب نواهيه، وفي الإيمان به صلاح الناس واستقامة قلوبهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وقد اشتملت هذه الآيات

١ – أحكام القران، القرطبي (٩ / ٢٤٣ – ٢٤٤)
٢ – شفاء العليل، ابن القيم (٣٢)
٣ – شرح الطحاوية، ابن أبي العز (١ / ٣٢٤)
٤ – شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين (١٦٤)

المباركة على الدلالة عليه وتقريره، وسيتم الحديث في هذا المطلب عن تعريف اليوم الآخر، ومعنى الإيمان به، وأهميته، ودلالة الآيات عليه من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: تعريف اليوم الآخر ومعنى الإيمان به:

معنى اليوم الآخر: لغة: قال ابن فارس – رحمه الله – :" (آخر) هو خلاف التقدم، وقال الخليل: فعل الله بالآخر أي بالأبعد، وابن دريد – رحمه الله – يقول: الآخر تالٍ للأول"[١]، وقال ابن منظور– رحمه الله–:"الآخر والآخرة نقيض المتقدم والمتقدمة، والمستأخر نقيض المستقدم"[٢]، وقال الراغب الأصفهاني – رحمه الله–:"آخر يقابل به الأول، وآخر يقابل به الواحد"[٣] .

شرعاً: اليوم الآخر هو: ما يحصل للإنسان من ساعة الاحتضار إلى دخول الجنة أو النار، فمن مات فقد قامت قيامته، ودخل في حكم الآخرة[٤]، فاليوم الآخر: هو يوم القيامة الذي يبعث فيه الناس للحساب والجزاء، وسُمي بذلك لأنه لا يوم بعده؛ حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم[٥] .

معنى الإيمان باليوم الآخر: التصديق الجازم بإتيانه، وبجميع تفاصيله، والعمل بموجب ذلك، فالإيمان باليوم الآخر يشمل كل ما ورد في أخبار ذلك اليوم، وما يتعلق به، فيدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ بالصور، وخروج الخلائق من القبور، وبالجزاء والحساب، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع، وتفاصيل الحشر، ونشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط والقنطرة، والحوض، والشفاعة، وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله عز وجل، وبالنار وعذابها الذي أشده حجب أهلها عن ربهم عز وجل[٦]

المسألة الثانية: أهمية الإيمان باليوم الآخر :

للإيمان باليوم الآخر أهمية كبيرة في حياة المسلم فهو الركن السادس من أركان الإيمان قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ومما يدل على أهميته في دين الله أمور كثيرة منها:

---

١ – معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ٧٠)

٢ – لسان العرب، ابن منظور – (٢٣/٤ – ١٣ – ١٤).

٣ – مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٦٨).

٤ – اليوم بالآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة، المطيري (٣٤ – ٣٩).

٥ – نبذة في العقيدة،بن عثيمين (٤٦).

٦ – أعلام السنة المنشورة، حافظ الحكمي (٦٥).

١ – قرن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله غالباً: مثل قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٦٢]، وفي السنة من ذلك أكثر كقوله – عليه الصلاة والسلام –:"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيف، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت"[١].

٢ – من آمن به فله الهدى والبشرى في الدنيا والآخرة: قال تعالى:﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل:٢- ٣]، وله الهدى و الرحمة في الدنيا والآخرة: قال تعالى:﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [لقمان:٢– ٤].[٢]

٣– ما يترتب على الإيمان به من الثمرات الجليلة والآثار العظيمة والتي منها: أداء عبادة الله عز وجل، و تحقيق العبودية له سبحانه، وزيادة الإيمان، كما يورث المسلم أخلاقًا جميلة وصفات حميدة .

٤ – تسيلة المؤمن عما يفوته في هذه الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة، وبذلك لا ينزعج لحلول مكروه أو فوات محبوب؛ لأنه يرجو العوض من الله عز وجل، فيدعوه ذلك إلى السلوة والراحة، وترك التسخط[٣].

المسألة الثالثة: دلالة الآيات على إثبات اليوم الآخر:

لقد اشتملت هذه الآيات المباركة على إثبات اليوم الآخر، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥]، فقد ذكر تباركه– سبحانه– في مقام بيان سعة علمه وملكه وتصرفه في خلقه ورجوعهم إليه يوم القيامة للحساب والجزاء،" فتبارك –جل وعلا– وتقدس خالق السموات والأرض وما فيهما من عوالم لا ندري كنهها، ولا نعلم حقيقتها، المتصرف فيها بلا مدافعة ولا ممانعة من أحد، وعنده علم الساعة ووقت مجيئها وقيامها، لا يجليها لوقتها إلا هو، وإليه المرجع والمآب يوم الحساب، فيجازي كل أحد بما يستحق إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر"[٤]، يقول الإمام الطبري –رحمه الله– في تفسير هذه الآية المباركة: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥]،:" يقول تعالى ذكره: وتبارك الذي له سلطان السموات السبع والأرض، وما بينهما من الأشياء كلها، جارٍ على

---

١ – صحيح البخاري،كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره حديق رقم: (٥٦٧٢)

٢ – انظر: الايمان باليوم الآخر، المطيري (٣٧)

٣ – انظر: الإيمان باليوم الآخر، الحمد (٦ – ٩).

٤ – تفسير حدائق الروح والريحان، الأمين (٢٦ / ٣١٦)

جميع ذلك حكمه، ماضٍ فيهم قضاؤه، يقول: فكيف يكون له شريك في سلطانه، وحكمه فيه نافذ ؟! ﴿ وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾، يقول: وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب، وقوله: ﴿ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾، يقول: وإليه أيها الناس تردون من بعد مماتكم فتصيرون إليه، فيجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته"[1]، ويُبين الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله، الغاية من تقديم الظرف في قوله سبحانه: ﴿ وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ بقوله:" قدم الظرف ليفيد الحصر، أي: لا يعلم متى تجيء الساعة إلا هو، فالله تعالى وتعاظم، وكثر خيره، واتسعت صفاته، وعظم ملكه للسموات والأرض وما بينهما، وسعة علمه، وأنه بكل شيء عليم، حتى أنه تفرد بعلم الغيوب التي لايطلع عليها لا نبي مرسل ولا ملك مقرب؛ ولهذا قال: ﴿ وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ فمن تمام ملكه وسعته أنه مالك الدنيا وما فيها، والآخرة وما فيها؛ ولهذا قال: ﴿ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾، أي: في الآخرة فيحكم بينكم بحكمه العدل"[2]، ثم إن الله – عز وجل – لما ذكر تباركه في مقام ذكر خلق الإنسان، وانتقاله من طور إلى طور في بطن أمه في قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمًا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]- بين في الآية التي بعدها مباشرة أنه بعد هذه الأطوار والخروج إلى الدنيا هناك دار أخرى، ورجوع إلى الله – عز وجل–، وفي ذلك إثبات وتقرير لوقوع اليوم الآخر؛ حيث يقول سبحانه: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٥ -١٦]، قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله –:" وقوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾، يعني: بعد هذه النشأة الأولى من العدم تصيرون إلى الموت: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴾، يعني: النشأة الآخرة، حيث ينشئ الله النشأة الآخرة، يعني: يوم المعاد، وقيام الأرواح والأجساد، فيحاسب الخلائق ويوفي كل عامل عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر" [3]،" فالله – جل وعلا– بعد أن ذكر في أول سورة المؤمنون أنه كلف عباده بما كلف – بيّن أن هذه التكاليف شكرٌ من الإنسان لربه الذي أنشأه النشأة الأولى، وقلَّبه في أطوار مختلفة حتى أوصله إلى طورٍ هو غاية كماله، فأصبح قادراً على تكليفه بتلك التكاليف، ولا بد له من طور يستحق فيه الجزاء على ما كلفه به، وهو طور البعث بعد الموت يوم القيامة، فقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴾"[4]، فتبين لنا من خلال هذه الآيات المباركة تقرير

---

١ – تفسير الطبري (٢٠ / ٦٦٠ –٦٦١)

٢ – انظر: تيسير الكريم المنان، السعدي (١٦٢٢)

٣ – انظر: تفسير القران العظيم، ابن كثير (١٠ / ١١٦)

٤ – انظر: تفسير حدائق الروح والريحان، أحمد الأمين (١٩ / ٢٨)

هذا الركن العظيم وإثبات رجوع العباد إلى – عز وجل – بعد مماتهم، مما يوجب علـــيهم الاستعداد لذلك اليوم بالإيمان والعمل الصالح .

الخاتمة:

في ختام هذا البحث، أشكر الله – عز وجل- على تيسيره وتوفيقه، والحمد لله الذي بنعمتــه تتم الصالحات، وقد توصلت من خلاله إلى النتائج التالية:

١- أن الآيات المتضمنة (تبارك الله) في القرآن الكريم قد اشتملت على ذكر مسائل عقديــة جليلة من تقرير توحيد الله تعالى، وإثبات ربوبيته وألوهيته وأســمائه وصــفاته، وتقريــر النبوة، وإنزال القرآن الكريم، وإثبات اليوم الآخر .

٢- أن لفظ (تبارك) مأخوذ في أصل معناه من البركة، التي هي بمعنى النمــو والتزايــد، وكذلك البقاء والدوام، فالكون والمخلوقات وما فيها من محاسن وآثار طيبة كلها من بركــة الله عز وجل .

٣- أن الآيات المتضمنة (تبارك الله) اشتملت على مجموعة مــن أســماء الله – تعــالى- الحسنى وصفاته العلا، وهذه الدلالة قد تكون دلالة مباشرة أو ضــمنية تُفهــم مــن خــلال التحليل لألفاظ الآيات الكريمة، وعند الاستقراء نجد أنها اشتملت على خمسة أسماء كريمــة من أسماء الله – عز وجل -، وهي: (الله، الرب، الخالق، ذو الجلال والإكــرام، القــدير)، وعلى سبع صفات جليلة من صفات الله – جل وعلا – وهي: (تبــارك الله، و الاســتواء، العلو، المشيئة، العلم، اليدين، الملك) .

٤- أن الآيات المتضمنة (تبارك الله) جاءت في سياقاتها المختلفــة دالــةٌ علــى كمــال الله وعظمته ورحمته -سبحانه-، فذكرها الله-عز وجل- في مقام تقرير ربوبيته بدلائل خلقــه، وتدبيره وتسخيره وإنعامه عليهم، وسعة ملكه وعلمه، وإنزاله لأعظم كتبه الذي فــرق بــه بين الحق والباطل، وجعله مباركا وهدى ورحمة للعالمين .

التوصيات:

١- العناية بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والتمسك بهما، وفهم معانيهما، وفق منهج السلف الصالح من الصحابة وتابيعهم من القرون المفضلة .

٢- دراسة المسائل العقدية من خلال الآيات القرآنية الكريمة، وتحليلها .

المراجع:

١- الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة – عبدالله بن محمد بن بطة العكبري – تحقيق: رضا مصطفى – دار الراية – الرياض – ط (١) – ١٤٠٩هـ

٢- الارشاد إلى قواطع الأدلة على أصول الاعتقاد – ابو المعالي عبدالملك الجويني – تحقيق: أسعد تميم – مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان – ط (١) – ١٤٠٥هـ

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت – ط – ١٤١٥هـ

٤- إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين- أبو بكر الشافعي- عثمان بن محمد شطا – ط (١) – دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع- ١٤١٨ هـ

٥- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د.زاهر محمد الشهري، دار طيبة الخضراء – مكة المكرمة – ط (١) – ١٤٤٠هـ

٦- اعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة – حافظ الحكمي – تحقيق: احمد علي علوش – مكتبة الرشد – الرياض – ط (٢) – ١٤١٤هـ

٧- الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به – ابو بكر الباقلاني – تحقيق: محمد الكوثري – المكتبة الازهرية للتراث – ط (١٤١٣هـ)

٨- البحر المحيط – محمد يوسف ابو حيان الأندلسي- تحقيق: عادل عبدالموجود و علي محمد معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط (١) –١٤١٣هـ

٩- بدائع الفوائد – ابن القيم الجوزية – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان

١٠- البرهان في علوم القران – الزركشي – تحقيق: د.يوسف الرعشلي – دار المعرفة – بيروت – ط (٢) – ١٤١٥هـ

١١- بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز – الفيروزبادي – تحقيق: محمد النجار – المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية – القاهرة .

١٢-تاج العروس من جواهر القاموس- الزبيدي – محمد بن مرتضى الحسيني- ط(١) – مجموعة من المحققين – دار الهداية – ١٩٦٥م

١٣- التحرير والتنوير – محمد الطاهر بن عاشور – الدار التونسية – تونس – ١٨٨٤م

١٤-التدمرية – ابن تيمية – أحمد بن عبدالحليم – تحقيق: د.محمد بن عودة السعوي – ط (٦) – مكتبة العبيكان- الرياض- ١٤٢١هـ

١٥- التعريفات- الجورجاني – علي بن محمد بن علي – تحقيق: د.عبدالرحمن عميرة – ط (١) – عالم الكتب – بيروت- ١٤٠٧هـ

١٦- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – أبو السعود محمد العمادي الحنفي – تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا – مكتبة الرياض الحديثة – الرياض

١٧- تفسير أسماء الله الحسنى – السعدي – عبدالرحمن بن ناصر – تحقيق: عبيد العبيد – طبعة الجامعة الاسلامية – المدينة المنورة – ١٤٢١هـ

١٨- تفسير أسماء الله الحسنى – الزجاج – إبراهيم بن محمد السري – تحقيق: احمد يوسف– دار الثقافة العربية .

١٩- تفسير القرآن العظيم – الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير – تحقيق: محمد السيد رشاد – مؤسسة قرطبة – القاهرة – ط (١)

٢٠- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن – محمد الأمين الشافعي – دار طوق النجاة – بيروت – لبنان – ط (١) – ١٤٢١هـ

٢١- تقريب التدمرية – ابن عثيمين – محمد بن صالح بن محمد – ط (١) – دار ابن الجوزي – الدمام – ١٤١٩هـ

٢٢- تهذيب اللغة – ابي منصور الأزهري – تحقيق: محمد عوض – دار احياء التراث العربي – بيروت – ط (١) – ٢٠٠١م

٢٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبدالرحمن بن ناصر السعدي – دار ابن الجوزي

٢٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي – دار هجر للنشر والتوزيع – القاهرة – ط (١) – ١٤٢٢هـ

٢٥- جامع الرسائل– ابن تيمية – تحقيق: د.محمد رشاد سالم – دار المدني – جدة – ط(١) – ١٤٠٥هـ

٢٦– الجامع الصحيح – البخاري– الإمام محمد بن اسماعيل – ط (١) – بيت الأفكار الدولية – الرياض – (١٤١٩هـ)

٢٧- جامع العلوم والحكم –ابن رجب الحنبلي – الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين – تحقيق: طارق بن عوض – ط (٢) – دار ابن الجوزي – بيروت– ١٤٤١هـ

٢٨- الجامع لأحكام القرآن – محمد بن أحمد القرطبي – تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ط (١) – ١٤٢٧هـ

٢٩- الجامع لمباحث الأسماء والصفات – د.عيسى بن عبدالله السعدي – دار الأوراق – جدة – ط (١) – ١٤٤٤هـ

٣٠- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام – ابن القيم الجوزية – تحقيق: شعيب الأرناؤوط – دار العروبة – الكويت – ط (٢) – ١٤٠٧هـ

٣١- جمهرة اللغة – ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد – تحقيق: رمزي منير – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ط (١) – ١٩٨٧م

٣٢- خلاصات في مباحث النبوة – السعدي – د.عيسى بن عبدالله – ط (١) – دار الأوراق – جدة – ١٤٤١هـ

٣٣- درء تعارض العقل والنقل – ابن تيمية – تحقيق: محمد رشاد سالم – مطابع جامعة الامام – الرياض – ط (١) – ١٣٩٩هـ

٣٤- دراسات في علم العقيدة – أ.د.ناصر بن عبدالله القفاري – دار العقيدة للنشر والتوزيع – الرياض – ط (١) – ١٤٤٢هـ

٣٥- دراسات في علوم القرآن – أ.د.فهد عبدالرحمن الرومي – ط (١٢) – ١٤٢٤هـ

٣٦- زاد المعاد في هدي خير العباد – ابن القيم الجوزية – تحقيق: شعيب الأرنؤط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط (٢٧)- ١٤١٤هـ

٣٧- الزاهر في معاني كلمات الناس – محمد بن القاسم الأنباري – تحقيق: د.حاتم الضامن – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ط (١) – ١٤١٢هـ

٣٨- السنن – ابن ماجه – الحافظ محمد بن يزيد – تحقيق: شعيب الأرناؤوط – ط (١) – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٣٠هـ

٣٩- سنن أبي داود – الامام الحافظ أبي داود سليمان الازدي – راجعه وضبطه: محمد محيى الدين عبدالحميد – المكتبة الاسلامية – استانبول

٤٠- سنن الترمذي – الامام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي – اشراف وتعليق: عزت عبيد الدعاس – المكتبة الاسلامية – استول

٤١- شأن الدعاء – أبي سليمان الخطابي – تحقيق: احمد يوسف الدقاق – دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت – ط (١) – ١٤٠٤هـ

٤٢- شرح الأصول الخمسة – القاضي عبدالجبار بن احمد – تعليق: أحمد بن أبي هاشم – تحقيق: أ.د.عبدالكريم عثمان – ام القرى للطباعة ومكتبة وهبه – القاهرة – ط (٢) – ١٤٠٨هـ

٤٣- شرح العقيدة الطحاوية – ابن أبي العز الحنفي – محمد بن علاء الدين علي – – تخريج الألباني – ط (٩) – المكتب الاسلامي – بيروت .

٤٤- شرح العقيدة الواسطية – الشيخ د.صالح الفوزان – مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – ط (١٤٢٠هـ)

٤٥- شرح العقيدة الواسطية – الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين – مؤسسة الشيخ محمد بن عثيمين الخيرية – القصيم – ط (٨) – ١٤٤١هـ

٤٦- شرح العقيدة الواسطية – محمّد خليل هراس – تحقيق: عبدالرزاق عفيفي – مطابع الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – ط (٤) – بدون تاريخ.

٤٧- الشرح الممتع على زاد المستقنع– محمد بن صالح بن عثيمين– دار ابن الجوزي – ط (١) – ١٤٢٢–١٤٢٨هـ

٤٨- شرح صحيح مسلم – ابن عثيمين – محمد بن صالح بن محمد – ط (١) – المكتبة الإسلامية – القاهرة – (١٤٢٩هـ)

٤٩–شرح صحيح مسلم – النووي – الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف – ط (١) – المطبعة المصرية – (١٣٤٧هـ)

٥٠- شفاء العليل – ابن القيم الجوزية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط (١) – ١٤٠٧هـ

٥١–صحيح مسلم – مسلم – الإمام مسلم بن الحجاج القشيري – ط (١) – بيت الأفكار الدولية – الرياض – (١٤١٩هـ)

٥٢- الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها – د.محمد بن خليفة التميمي – دار أضواء السلف – الرياض – ط (١) – ١٤٢٢هـ

٥٣–طريق الهجرتين وباب السعادتين – ابن القيم الجوزية – محمد بن أبي بكر – تحقيق: محب الدين الخطيب – ط (٣) – المكتبة السلفية .

٥٤–عقيدة المؤمن – الجزائري– أبو بكر جابر بن موسى– ط (١) – مكتبة الكليات الأزهرية – مصر– ١٣٩٨هـ .

٥٥- العقيدة الواسطية – ابن تيمية – أحمد بن عبدالحليم – ط (١) – مطابع جامعة الإمام – ١٤٢٠هـ

٥٦- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ – أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي – تحقيق: محمد باسل – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط (١) – ١٤١٧هـ

٥٧- عون المعبود شرح سنن إبي داود ومعه حاشية ابن القيم – محمد أشرف الصديقي، العظيم آبادي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط (٢) – ١٤١٥هـ

٥٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري – ابن حجر العسقلاني – تصحيح: ابن باز – دار المعرفة – بيروت – ١٣٧٩هـ

٥٩- فتح القدير – الشوكاني – دار الفكر – بيروت – بدون طبعة

٦٠- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد – آل الشيخ – عبدالرحمن حسن عبدالوهاب – تحقيق: د.الوليد بن عبدالرحمن آل فريان – ط (١٥) – دار ابن الأثير – ١٤٣٤هـ

٦١-فتح رب البرية بتلخيص الحموية – ابن عثيمين – محمد بن صالح بن محمد – ط (١)– مطابع جامعة الأمام – ١٤١٢هـ

٦٢- فضائل القرآن – الحافظ ابي عباس جفعر بن محمّد المستغفري – تحقيق: د. أحمد بن فار السلوم تدار ابن حزو – لبنان – بيروت – ط(١) – ١٤٢٧هـ.

٦٣–فقه الأسماء الحسنى – البدر– د.عبدالرزاق بن عبدالمحسن حمد– ط (١) – دار بن الجوزي – الدمام– ١٤٣٤هـ

٦٤–القاموس المحيط – الفيروزآبادي – محمد بن يعقوب الشيرازي – إشراف: محمد نعيم – ط (٦) – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٥هـ

٦٥–القول السديد شرح كتاب التوحيد– السعدي – عبدالرحمن بن ناصر – ط (١) – دار الوطن – الرياض – ١٤١٨هـ

٦٦–القول المفيد – ابن عثيمين – محمد بن صالح بن محمد– ط (٢) – دار ابن الجوزي – الدمام – ١٤٢٤هـ

٦٧- كتاب العين – الخليل بن أحمد الفراهيدي – تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.ابراهيم السامرائي – دار ومكتبة الهلال

٦٨- الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية – أيوب موسى الكفوي – تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان

٦٩–لسان العرب – ابن منظور – محمد بن مكرم بن علي – ط (٣) – دار صادر – بيروت – ١٤١٤هـ

٧٠–لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية – السفاريني – محمد بن أحمد بن سالم – تعليق: عبدالرحمن أبابطين – ط (١) – مكتبة الديار – القاهرة – ١٤٣٨هـ .

٧١- مباحث في علم العقيدة – أ.د.علي بن عمر السحيباني – مكتبة المتنبي – الدمام – ط (١) – ١٤٤٢هـ

٧٢- مجالس شهر رمضان – الشيخ محمّد بن صالح بن عثيمين – دار المجتمع. جده – ط (٧) – ١٤١٢ هـ.

٧٣-مجموع الفتاوى – ابن تيمية – أحمد بن عبدالحليم – جمع وترتيب: عبدالرحمن القاسم – مطبعة المساحة العسكرية – القاهرة – ١٤٠٤هـ

٧٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – عبدالحق بن عطية الأندلسي – تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط (١) – ١٤٢٢هـ

٧٥- المحرر في علوم القرآن– مساعد الطيار– مركز الدراسات القرآنية بمعهد الشاطبي–ط (٢) – ١٤٢٩هـ

٧٦- مختار الصحاح– الرازي – محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر– تحقيق: محمود خاطر– ط(٢) مكتبة لبنان – بيروت – ١٤١٥هـ

٧٧- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة – ابن القيم الجوزية – اختصره: محمد الموصلي – دار الندوة الجديدة – بيروت – ط (١٤٠٥هـ)

٧٨- المسند –الإمام أحمد – أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل – تحقيق: أحمد – شاكر – ط(١) – دار الحديث– القاهرة – ١٤١٦هـ

٧٩- معاني القرآن – ابو زكريا محيى بن زياد الفراء– تحقيق: احمد يوسف نجاتي، محمد علي نجار، عبدالفتاح شلبي – الدار المصرية للكتاب والترجمة .

٨٠- المعجم الكبير – أحمد الطبراني – تحقيق – محمّد بن عبدالمجيد السلفي – مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ط (٢) – ١٤٠٤هـ.

٨١–معجم مقايس اللغة – ابن فارس – أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني – تحقيق: عبدالسلام هارون ط (١) – دار الفكر– ١٣٩٩هـ

٨٢- مفاتيح التفسير – د.احمد سعد الخطيب – دار التدمرية – الرياض – ط (١) – ١٤٣١هـ

٨٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والارادة – ابن القيم الجوزية – اعتنى به: علي الحلبي – دار ابن عفان – الخبر – ط (١)- ١٤١٦هـ

٨٤- المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهاني – الحسين بن محمد بن المفضل – دار المعرفة – بيروت .

٨٥- مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد الزرقاني – تحقيق: فواز زمرلي – دار الكتاب العربي – بيروت – ط (١) – ١٤١٥هـ

٨٦–منهاج السنة – ابن تيمية – أحمد بن عبدالحليم – تحقيق: محمد رشاد سالم – ط (١) – جامعة الامام – ١٤٠٦هـ

٨٧- نبذة في العقيدة الإسلامية – محمد بن صالح بن عثيمين – مؤسسة الشيخ محمد بن عثيمين الخيرية – القصيم – ط (٢) – ١٤٣٠هـ

٨٨- النبوات –ابن تيمية – أحمد بن عبدالحليم – تحقيق: د.عبـــدالعزيز الطويـــان– ط (١) – دار أضواء السلف– الرياض– ١٤٢٠هـــــ .
٨٩- وصف الله بـــــ" تبارك": معناه وآثاره – أيمن بن محمد الحمدان – مجلة البحوث الإسلامية – الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء –العدد – (١٢٩) – ١٤٤٤هــ
٩٠- اليوم الآخر – د.محمد ابراهيم الحمد – دار ابن خزيمة – الرياض – ط (٢) – ١٤٣٢هــ
٩١- اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة – د.عبدالمحسن المطيـــري – دار البـــشائر الاسلامية – بيروت – ط (٢) – ١٤٢٧هــــ .